



رأي ابن خلدون في أصل الطب النبوي، ومناقشته على ضوء الإعجاز العلمي

*Ibn Khaldun's opinion on the origin of prophetic medicine and its discussion
in light of scientific miracles.*

خريف زتون

مخبر إسهامات علماء الجزائر في إثراء العلوم الإسلامية
جامعة الوادي (الجزائر)
zatoun-kherief@univ-eloued.dz

لمين لصفار *

مخبر إسهامات علماء الجزائر في إثراء العلوم الإسلامية
جامعة الوادي (الجزائر)
Ladfar-lamine@univ-eloued.dz

تاريخ النشر: 2024/11/15

تاريخ القبول: 2024/09/28

تاريخ الاستلام: 2024/02/17

ملخص:

جاء هذا البحث لبيان مدى صحة الرأي الذي اشتهر عن ابن خلدون وغيره، من أن الأحاديث الواردة عن النبي ﷺ في الطب ليست من الدين، إنما هي من الأمور الدنيوية التي ليس للوحي فيها مدخل، وقد تكلم النبي ﷺ فيها باعتبار الاجتهاد والرأي؛ وقد تبين لي من خلال تتبع كثير من الأحاديث الواردة في الطب أنها على الأصل مستمدة من الوحي، بقرينة ما فيها من الإعجاز ودلائل النبوة، لأنها وردت بأمر دقيقة وخفية لا يمكن للبشر معرفتها زمن البعثة، وقد كشف الطب الحديث عن صدق ما ورد فيها، وعدم معارضتها للتجارب العلمية، وليس في مقدور بشر الإحاطة بكل ذلك إلا بطريق الوحي.

الكلمات المفتاحية: السنة النبوية؛ الوحي؛ الطب النبوي؛ ابن خلدون؛ الإعجاز العلمي.

Abstract:

The purpose of this research is to demonstrate the validity of the opinion, popularized by Ibn Khaldun and others, that the hadiths narrated by the Prophet (peace be upon him) in medicine are not from religion, but from worldly matters in which revelation has no role, and in which the Prophet (peace be upon him) spoke on the basis of ijtihad and opinion. It has become clear to me through tracing many of the hadiths on medicine that they were originally derived from revelation, given the miraculous and prophetic evidence in them, because they dealt with subtle and hidden matters that humans could not know at the time of the Prophet's mission, and modern medicine has revealed the truth of what they say, and that they are not contradicted by scientific experiments.

Keywords: Sunnah; revelation; prophetic medicine; Ibn Khaldun; scientific miracles.

* المؤلف المراسل.

1. مقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أما بعد:

فإن من مباحث العلم النافعة، دراسة الآراء التي عرفت في الأوساط العلمية واشتهرت، خاصة إذا كانت لأعلام كبار كان لهم الأثر في تراث الأمة الإسلامية، ومن هؤلاء العلامة عبد الرحمن بن خلدون رحمه الله، الذي عرف بتفنه في العلوم التي تناولها بالطرح في مقدمته الشهيرة، فقد تطرق فيها لجملة من المواضيع والمباحث المتنوعة في علوم وفنون شتى، ومن ذلك ما يرتبط بعلوم السنة النبوية، ومما اشتهر عنه رحمه الله في هذا الصدد إثارته لقضية دقيقة مرتبطة بعلاقة السنة النبوية بالوحي، في أحاديث الطب النبوي خاصة، فإنه لما تعرض لذكر الطب واستطرد في ذلك وتكلم عن الطب السائد عند العرب زمن بعثة النبي ﷺ، قرّر أن ما نقل عن النبي ﷺ في أمر الطب إنما هو من اجتهاداته الخاصة، وليس هو من قبيل ما يوحى إليه، وأن النبي ﷺ إنما أتى ليعلمنا أمور ديننا ولا علاقة لما قاله في الطب بالوحي، فقال: "والطّب المنقول في الشّرعيات من هذا القبيل، وليس من الوحي في شيء".

وقد وقفت على جملة من الدراسات السابقة في موضوع أحاديث الطب من جوانب متعددة، منها بحث جامع لنورة بنت عبد الله الغملاس، عنونت له: الأحاديث المشككة في الطب النبوي، أتت فيه على كثير من مباحث الطب النبوي، ومنها ما يرتبط بموضوع بحثي هذا: هل أحاديث الطب النبوي من الوحي؟، وبعد عرضها للآراء في الباب ومنها رأي ابن خلدون رجحت أنها من الوحي، وتناولت أيضاً أهمية مراعاة ضوابط فهم السنة وتطبيقها على أحاديث الطب النبوي، وخلصت إلى أن الأحاديث المشككة في الطب قليلة جداً، وأن الفهم السليم ومراعاة قواعد اللغة العربية والرجوع إلى أهل العلم الراشدين في ذلك كفيل بإزالة الإشكالات، وأن الطب النبوي يعدّ منظومة متكاملة من العلاج النافع في الأمور الحسية والمعنوية.

ومقال للدكتور أبي بكر كافي، بعنوان: الضوابط المنهجية للفهم السليم للسنة النبوية أحاديث الطب دراسة تطبيقية تناول فيه الباحث جزئية مهمة مرتبطة بالموضوع وهي ضرورة مراعاة السياقات التي وردت بها أحاديث الطب، وعدم التكلف والتعسف في تحميلها معاني أو مدلولات غير مرادة بسبب إهمال السياق اللغوي أو العرفي زمن النبوة، أو عدم الجمع بينها وبين النصوص الأخرى، مما يؤدي إلى إهمال وطرح أصول ومعاني شرعية أخرى، وهذا لا شك له ارتباط بموضوع بحثي هذا من جهة الاحتراز في الفهم السليم لنصوص الطب النبوي حتى لا يؤدي ذلك إلى التشكيك في مصداقيتها خاصة عند من يعتبرها مستمدة من الوحي والنبوة.

ومن أفضل البحوث المرتبطة بالإعجاز العلمي في السنة النبوية، وقد تناول فيه الباحث أهم جزئية متعلقة بموضوعي هذا، بحث قيم للدكتور نور الدين تومي عنون له: الإعجاز العلمي والغبي في السنة النبوية وأثرهما في إثبات وحياة السنة، تناول فيه ضوابط مهمة في موضوع الإعجاز العلمي، وعرض فيه أمثلة من السنة النبوية استدلت بها على أنها وحي من الله سبحانه وتعالى بقريئة ما فيها من إعجاز علمي بأمور مغيبة، لا يمكن للنبي ﷺ أن يدركها إلا من جهة ما أوحاه الله إليه، مثل حديث عجب الذنب وما فيه من حقيقة علمية دقيقة، وحديث الذباب وما فيه من أمر خفي من جهة الداء والدواء، وحديث العلاج بأبوال وألبان الإبل وما فيه من شفاء أظهر العلم التجريبي صدقه، وهذا المسلك الذي تناوله الباحث في الاستدلال بإعجاز السنة على وحييتها، هو الذي بنيت عليه مناقشة القائلين بإطلاق نفي وحياة أحاديث الطب النبوي، إلا أن بحثي هذا محصور في أحاديث الطب والبحث السابق شامل لكل الأحاديث المعجزة علمياً وغيبياً.

وتبين لي والعلم عند الله أن الموضوع يفتقر إلى زيادة بحث وبيان من جوانب عدة، من أبرزها الاستعانة بالعلم التجريبي الحديث المتجدد في موضوع الطب وتوظيفه في إظهار منزلة وعظمة السنة النبوية، من جهة الإعجاز العلمي المنضبط الذي هو شاهدٌ حسيٌّ ناطقٌ بعظمتها خاصة في مجال الطب. فهل إطلاق القول بأن أحاديث الطب النبوي ليست من الوحي مطابق لمصادقية ما ورد عن النبي ﷺ في هذا الباب؟ أم أن كثيراً من النصوص الواردة فيه تظهر عليها أنوار النبوة، ومتضمنة لمصادقية الوحي، التي هي في الإجمال سمة للسنة النبوية الواردة في أمور الدين والتشريع؟ لذا ظهر لي من خلال التأمل في التساؤلات المتعلقة بهاته القضية أنها تحتاج تحقيقاً وبياناً من جهات عدة، من أهمها:

أولاً: تمييز بعض ما ورد عن النبي ﷺ في هذا الباب مما يحتمل أن يكون من قبيل الاجتهاد والظن، عما تدل القرائن على أنه وحي وأمرٌ قطعي.

ثانياً: تحقيق الصواب في هذه المسألة، وهي مصدر استمداد أحاديث الطب النبوي، ليتجلى فيها صورة الحق من خلال جمع قدر كافٍ من الأحاديث الواردة عن النبي ﷺ في الباب، والنظر في ألفاظها ومدلولاتها. ثالثاً: تحقيق منزلة ومكانة السنة عند هذا العلم الكبير، وكونها حجة لديه، حتى لا يتوهم متوهمٌ أنه على مذهب من مذاهب أهل البدع ممن لا يعتبر حجية السنة النبوية.

رابعاً: تمييز رأي ابن خلدون رحمه الله وأمثاله في هذا الباب عن رأي غيرهم ممن تزعزت مكانة السنة لديهم، فضلاً عن أعداء السنة الذين جعلوا أحاديث الطب مطية للسخرية من السنة النبوية، والتشكيك في مصادقيتها، بل والطعن في النبي ﷺ⁽¹⁾.

(1) وسيأتي ذكر أمثلة عمن بعض من ابتلي بذلك.

وبيان ذلك والجواب عليه ضمنته هذا البحث الذي عنونت له بـ: "رأي ابن خلدون في أصل الطب النبوي، ومناقشته على ضوء الإعجاز العلمي".

وقد جعلت خطة البحث كالآتي:

1. المقدمة: وذكرت فيها أهمية الموضوع وما يتعلق به.
2. مقدمات هامة حول منزلة السنة النبوية إجمالاً، ومكانتها لدى ابن خلدون رحمه الله.
3. مذاهب علماء السنة في أحاديث الطب النبوي، وتمييزها عن أهواء المخالفين، وأوردت فيه:
 - 1.3. أقوال علماء السنة في منزلة أحاديث الطب النبوي.
 - 2.3. تمييز أقوال أعداء السنة ومن تأثر بهم عن أقوال أهل السنة.
 4. مناقشة رأي ابن خلدون ومن وافقه، وأوردت فيه:
 - 1.4. الجواب عن استدلال ابن خلدون رحمه الله ومن وافقه.
 - 2.4. نماذج لأحاديث الطب النبوي المعجزة والسابقة للعلم التجريبي.
5. الخاتمة: وأذكر فيها أهم النتائج.

2. مقدمات هامة في الموضوع.

مما يحسن التمهيد به بين يدي هذا الموضوع مقدمات متعلقة بالسنة النبوية في بيان منزلة ما يصدر عن النبي ﷺ ومرتبته من الحجية، وكذا بيان منزلة السنة عند العلامة ابن خلدون رحمه الله حتى لا يقع في نفس الناظر في هذا الموضوع نظرة قاصرة أن ابن خلدون رحمه الله من المخالفين الذين عرف عنهم معارضة السنة بأهوائهم.

1.2. المقدمة الأولى: كمال الدين الإسلامي وشريعته وشموليتهما.

ينبغي أن يعلم أن نبينا محمد ﷺ قد جاء بدين كامل وشرعية شاملة يصلح بها الدين والدنيا صلاحاً يحقق الحياة الطيبة التي وعد الله سبحانه وتعالى عباده، وهي طريقهم إلى السعادة الأبدية؛ وهذا الدين والشرعية مبناها على كتاب الله سبحانه وتعالى وسنة نبيه ﷺ، وهما الكتاب والحكمة، لا يمكن أن يستغنى بالقرآن عن السنة وهي المبينة له، وفيها من الأحكام الزائدة عليه ما يلزم المسلم الأخذ به.

2.2. المقدمة الثانية: السنة النبوية مصدرها الوحي.

قال تعالى: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى (٤) عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى (٥)﴾ [النجم: 45]، وقد ورد عنه صلى الله عليه وسلم قوله: «أَلَا إِنِّي أُوتِيتُ الْقُرْآنَ وَمِثْلَهُ مَعَهُ»¹.

وينبغي أن يعلم أن جبريل عليه السلام كان ينزل على النبي ﷺ بالسنة كما ينزل عليه بالقرآن، وهذا يجعل المسلم في الأصل يحترز من نفي أي شيء مما صدر عنه ﷺ أن يكون وحياً، ومن الأدلة على ذلك:

1 أخرجه أبو داود في "سننه" (418 / 3) برقم: (3804)، (328 / 4) برقم: (4604)، والترمذي في "جامعه" (399 / 4) برقم: (2664) والدارمي في "مسنده" (473 / 1) برقم: (606) وابن ماجه في "سننه" (9 / 1) برقم: (12)، (356 / 4) برقم: (3193)، وغيرهم.

الدليل الأول: عن صفوان بن يعلى بن أمية، عن أبيه عليه السلام قال: «جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وآله وهو بالجعرانة عليه جبة وعلمها خلوق، أو قال: أثر صُفرة، فقال: كيف تأمرني أن أصنع في عمرتي؟ قال: وأنزل على النبي صلى الله عليه وآله الوحي، فسُتر بثوب، وكان يعلى يقول: وددت أني أرى النبي صلى الله عليه وآله وقد نزل عليه الوحي، قال: فقال: أيسرك أن تنظر إلى النبي صلى الله عليه وآله وقد أنزل عليه الوحي؟ قال: فرفع عمر طرف الثوب، فنظرت إليه له غطيط (قال: وأحسبه قال): كغطيط البكر قال: فلما سري عنه، قال: أين السائل عن العمرة؟ اغسل عنك أثر الصفرة أو قال: أثر الخلوق واخلع عنك جبتك، واصنع في عمرتك ما أنت صانع في حجك»¹.

الدليل الثاني: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وآله وهو يخطب على المنبر فقال رأيت إن قاتلت في سبيل الله صابراً مُحْتَسِباً مُقْبِلاً غَيْرَ مُدْبِرٍ أَيْكْفِرُ الله عَنِّي سَيِّئَاتِي؟ قال: نعم، ثم سكت ساعة قال: أين السائل أنفاً؟ فقال الرجل: ها أنا ذا، قال: ما قلت؟ قال: رأيت إن قتلت في سبيل الله صابراً مُحْتَسِباً مُقْبِلاً غَيْرَ مُدْبِرٍ أَيْكْفِرُ الله عَنِّي سَيِّئَاتِي؟ قال: نعم، إلا الدين سارني به جبريل أنفاً»².

فهذا جبريل عليه السلام أمين الوحي من السماء يأتي نبينا صلى الله عليه وآله بكثير من الهدى مما ليس هو من القرآن المتعبد بتلاوته.

والأدلة من السنة في هذا الباب أكثر، وفيما ذكر كفاية وغنية.

وعن حسان بن عطية رحمه الله قال: "كان جبريل عليه السلام ينزل على رسول الله صلى الله عليه وآله بالسنة كما ينزل عليه بالقرآن، ويعلمه إياها كما يعلمه القرآن"³.

3.2. المقدمة الثالثة: من السنة ما احتفت القرائن أنه من رأي النبي صلى الله عليه وآله، لكن لا يصح طرد هذا

الحكم والتوسع فيه.

لا ريب أنه قد ثبت في السنة ما أشار فيه النبي صلى الله عليه وآله إلى أن بعض ما يصدر عنه هو من الأمور التي رآها برأيه صلى الله عليه وآله واجتهاده ومقتضى بشريته، وأشهر شيء في الباب قضية تأبير النخل، وما روي من اختيار مكان النزول في غزوة بدر⁴، وحديث القضاء حينما قال صلى الله عليه وآله: «إِنكُمْ تَخْتَصِمُونَ إِلَيَّ، وَلَعَلَّ بَعْضَكُمْ أَنْ يَكُونَ الْحَنَ

1 متفق عليه.

2 الحديث أصله متفق عليه، ومحل الشاهد منه، وهو قوله: "سارني به جبريل"، عند النسائي برقم: (3155)، والإمام أحمد: (8190)، و(8487)، وأبو يعلى: (6602).

3 أخرجه الدارمي في "مسنده" (474 / 1) برقم: (608) وأبو داود في "المراسيل" (361 / 1) برقم: (536).

4 وذلك حينما أشار عليه الحباب بن المنذر تغيير المكان الذي اختاره ابتداءً، والحديث فيه مقال وهو مشهور في السيرة، قال صاحب «صحيح وضعيف تاريخ الطبري» (81 / 7): "إسناده إلى ابن إسحاق ضعيف وسند ابن إسحاق فيه مهم وكذلك أخرجه ابن هشام من طريق ابن إسحاق (فحدثت عن رجال من بني سلمة) سيرة ابن هشام (2 / 192)، وأخرجه الحاكم في المستدرک (3 / 447) وقال الذهبي: حديث منكر".

بِحُجَّتِهِ مِنْ بَعْضٍ، فَأَقْضِي لَهُ عَلَى نَحْوِ مِمَّا أَسْمَعُ مِنْهُ، فَمَنْ قَطَعْتُ لَهُ مِنْ حَقِّ أَخِيهِ شَيْئًا، فَلَا يَأْخُذْهُ فَإِنَّمَا أَقْطَعُ لَهُ بِهِ قِطْعَةً مِنَ النَّارِ»¹.

لكن النبي ﷺ كان يبين وينبه على ما يكون منه على وجه الاجتهاد كما هو في الوقائع الأنف ذكرها، فكلما ورد منه اجتهاداً من غير الوحي وردت قرينة تميزه عن السنة التي هي وحيٌ والله أعلم، لذلك جاء حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنه صريحاً حينما قال له: «اكتب فوالذي نفسي بيده ما خرج منه إلا حق».

والأفلو أطرنا على الأمر لحكمنا على كثير من الأحاديث في شأن الدنيا والطبيعية أنها من علم النبي ﷺ البشري، ولو تأملنا فيها لوجدنا ذلك بعيداً أو مستحيلاً، فضلاً عن أن بعضها فيه قرينة أنها من علم الله الذي خصه به، وانظر على سبيل التمثيل حديث: «إِذَا وَقَعَ الدُّبَابُ فِي إِنَاءٍ أَحَدِكُمْ فَلْيَغْمِسْهُ كُلَّهُ، ثُمَّ لِيَطْرَحْهُ؛ فَإِنَّ فِي أَحَدِ جَنَاحَيْهِ شِفَاءٌ وَفِي الْآخَرِ دَاءٌ»²، فهل يمكن لأحد أن يقول إن هذا من اجتهاد النبي ﷺ وبشريته؟ وأتى لرسول الله ﷺ أن يعلم ذلك في تلك البيئة البدائية البسيطة مع كونه أمياً ولا علم له بالطب ولا بهاته الأمور الدقيقة، بل ولا في مقدور غيره من الناس آنذاك معرفة ذلك الشيء المتناهي في الخفاء والدقة.

وانظر إلى فقه العلامة المعلمي رحمه الله في مثل هذا المقام لما تطرق لمسألة ما يصدر عن النبي صلى الله عليه وسلم بمقتضى البشرية والظن، ثم تكلم عن مسألة الغيلة³ وما ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم عليه وسلم فيها، ثم أورد حديث: «لَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ سِرًّا، فَإِنَّ الْغَيْلَ يُدْرِكُ الْفَارِسَ، فَيُدْعِئُهُ عَنْ فَرَسِهِ»⁴، ثم قال: "أن قوله: "يُدْرِكُ الْفَارِسَ فَيُدْعِئُهُ" شيء لا يُعرف بالقرائن الظاهرة المتيسرة، فالظاهر إن لم نقل: المتيقن أنه علمه ﷺ بالوحي"⁵.

4.2. المقدمة الرابعة: جاء النبي ﷺ ببيان كثير من مصالح الدنيا وعلومها.

قد يتضمن كلام ابن خلدون رحمه الله: "فإنه ﷺ إنما بعث ليعلمنا الشرائع ولم يبعث لتعريف الطب ولا غيره من العاديّات"، أنه ﷺ لم يأت عنه مطلقاً ما هو حجة قطعي الصحة والنفع في أمور الدنيا والطب والطبيعية، وهذا خلاف المنقول عنه ﷺ في الكتاب والسنة المباركة القولية والعملية، فإنه قد ورد عنه ﷺ كثيرٌ مما هو حجة في الطب وأمور الدنيا، وفي بعضها من القرائن القوية التي يجزم المتدبر لها أنها من تعليم الله له بطريق الوحي، وسيأتي ذكر أمثلة على ذلك في المبحث الثاني، أما ما ورد في كتاب الله فهو كلام سبحانه وتعالى قطعاً.

1 متفق عليه.

2 أخرجه البخاري في "صحيحه" (130 / 4) برقم: (3320)، (140 / 7) برقم: (5782)، وغيره.

3 "الغيلة هي: أن يجامع الرجل امرأته وهي تُرضع" انظر: القرطبي، المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، ج 4، ص 174.

4 أخرجه أبو داود في "سننه" (10 / 4) برقم: (3881) وابن ماجه في "سننه" (175 / 3) برقم: (2012)، وغيرهم.

5 عبد الرحمن بن يحيى الملعلي اليماني، رسالة في فرضية اتباع السنة، والكلام على تقسيم الأخبار وحجية أخبار الأحاد ضمن «آثار الملعلي»، ج 19، ص 26.

وقد جاء في كتاب الله سبحانه وتعالى من الدلالة على منافع الدنيا والحقائق المتعلقة ببعض مخلوقاته مما ينتفع به الناس في مصالحهم الدنيوية؛ فقد ورد في كتاب الله سبحانه وتعالى مثلاً الكلام عن كثير من المخلوقات في السماوات والأرض، من البحار والسحاب والنباتات، كالنخل والزيتون، والنحل والعسل، واللبن والأنعام ومنافعها وليس ذكرها لمجرد الامتنان بالنعيم، بل في ذلك من الفوائد العلمية التي استفادتها البشرية ما الله به عليم، ولا زال العلماء يستخرجون ويستنبطون الفوائد والمنافع المتعلقة بما ذكر مما يفتح لهم آفاقاً في العلوم الدنيوية¹.

ثم إن الصادر عن النبي ﷺ في أمور الدنيا إما أوامر وتوجيهات، أو هو أخبار: أما القسم الأول: فإنه ﷺ قد يشير بأمور يظهر منها أنه محل استشارة وأخذ ورد، كما حصل في اختيار المكان في غزوة بدر وأبدى فيه طلب المشورة²، أو تأبير النخل وقد بين لهم أنه من ظن ظنه صلى الله عليه وسلم، أما أن يأتي أمرٌ أو توجيه مطلق جازم فهذا لا يحمل إلا على كونه من علم يقيني، وهو مقتضى النبوة، بصرف النظر عن كونه ملزماً للمخاطب به أو لا.

وأما القسم الثاني: وهو ما كان من الأخبار، فإنه ﷺ في الأصل لا يأتي فيها إلا بالصدق، ولا يتكلم فيها بالظن، قال القاضي عياض رحمه الله: "وَأَمَّا أَقْوَالُهُ الدُّنْيَوِيَّةُ مِنْ أَخْبَارِهِ عَنْ أَحْوَالِهِ وَأَحْوَالِ غَيْرِهِ وَمَا يَفْعَلُهُ أَوْ فَعَلَهُ فَقَدْ قَدِمْنَا أَنَّ الْخُلْفَ فِيهَا مَمْتَنَعٌ عَلَيْهِ فِي كُلِّ حَالٍ وَعَلَى أَيِّ وَجْهِ مِنْ عَمْدٍ أَوْ سَهْوٍ أَوْ صَحَّةٍ أَوْ مَرَضٍ أَوْ رَضِيٍّ أَوْ غَضَبٍ وَأَنَّهُ مَعْصُومٌ مِنْهُ ﷺ، هَذَا فِيمَا طَرِيقَهُ الْخَبَرُ الْمَحْضُ مِمَّا يَدْخُلُهُ الصِّدْقُ وَالْكَذِبُ"³.

ثم "من المعلوم من دين الصحابة وعاداتهم ومبادئهم إلى تصديق النبي ﷺ في جميع أقواله والثقة بجميع إخباره في أي باب كانت وعن أي شيء وقعت دون توقف أو تردد في شيء منها أو استثناءات عن حاله تلك هل وقع فيها سهواً أم لا، وهذا كله يؤكد عصمته ﷺ من الكذب بأي حال من الأحوال"⁴.

5.2. المقدمة الخامسة: منزلة السنة عند العلامة ابن خلدون رحمه الله.

إن العلامة ابن خلدون رحمه الله معدود في أعلام أهل السنة والجماعة وإن اشتهرت عنه آراء⁵ قد توهّم لدى من لم يطلع على تراثه بصورة شاملة، أنه لا يرفع رأساً بالسنة، أو أنه ذهب مذهب أهل البدع المتكبرين للسنة النبوية، المعارضين لها بأهوائهم، ومن أعجب ما يدعيه بعض الحداثيين زعمهم أن فكر ابن خلدون رحمه الله أنموذج للفكر الحداثي، وليس الأمر كذلك فلم تكن تأصيلاته ولا أفكاره سوى اجتهادات في فهم بعض النصوص خطأ أو أصاب فيها.

1 ومن بدائع ما ألفه شيخ الإسلام رحمه الله "قَاعِدَةٌ فِي أَنَّ التَّوَجُّيدَ وَالْإِيْمَانَ يَشْتَمِلُ عَلَى مَصَالِحِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ".

2 وذلك حينما سأله الحباب بن المنذر ﷺ عن المكان الذي اختاره صلى الله عليه وسلم لهي أو رأي رآه ﷺ، والخبر فيه ضعف كما مر ص 6، لكنه من أمثلة السيرة المشهورة في مصنفات أهل العلم، يستشهدون به في هذا المقام.

3 أبو الفضل القاضي عياض بن موسى اليحصبي، الشفا بتعريف حقوق المصطفوحاشية الشمسي، ج 2، ص 187.

4 محمد بن خليفة التميمي، حث الأتباع على تجريد الاتباع، ص 156.

5 كراهيه في أحاديث المهدي.

ودونكم هذه النقول التي تؤكد ذلك:

قال رحمه الله: "وأصول الأدلة الشرعية هي الكتاب الذي هو القرآن ثم السنة المبنية له، فعلى عهد النبي ﷺ كانت الأحكام تتلقى منه بما يوحى إليه من القرآن ويبينه بقوله وفعله بخطاب شفاهي لا يحتاج إلى نقل ولا إلى نظر وقياس، ومن بعده صلوات الله وسلامه عليه تعذر الخطاب الشفاهي وانحفظ القرآن بالتواتر، وأما السنة فأجمع الصحابة رضوان الله تعالى عليهم على وجوب العمل بما يصل إلينا منها قولاً أو فعلاً بالنقل الصحيح الذي يغلب على الظن صدقه، وتعينت دلالة الشرع في الكتاب والسنة بهذا الاعتبار"¹.

وقال أيضاً: "وأما السنة وما نقل إلينا منها فالإجماع على وجوب العمل بما يصح منها كما قلناه، معترضاً بما كان عليه العمل في حياته صلوات الله وسلامه عليه من إنفاذ الكتب والرسل إلى النواحي بالأحكام والشرائع أمراً وناهياً، وأما الإجماع فلا تفاقهم رضوان الله تعالى عليهم على إنكار مخالفتهم مع العصمة الثابتة للأمة"².

وله تقريرات في مباحث متعددة حول السنة النبوية، تؤكد ما ذكرناه، من ذلك ما يرتبط بالتعليل، فهو يشير في عدة مواضع من مقدمته وتاريخه إلى قضية مهمة لديه، وهي أن على الناقل للتاريخ يلزمه ألا يعول فيما يقبله ويرده على مجرد الرواية والنقل والأسانيد، بل لابد من التمهيص من جهة المتون والمضمون، بأن يردّها إلى أمور أخرى هي بمثابة المراجعة أو نقد الدراهم والدنانير، وهذا هو تماماً منهج المحدثين المعروف بنقد الروايات ومعرفة العلل.

ففي رد بعض البدع التي ابتليت بها الأمة، قال عن الإمامة وتكلف الشيعة في إثباتها: «بنصوص ينقلونها ويؤولونها على مقتضى مذهبهم لا يعرفها جهاذة السنة ولا نقله الشريعة بل أكثرها موضوع أو مطعون في طريقه أو بعيد عن تأويلاتهم الفاسدة»³.

وتطرق رحمه الله إلى بدعة لإمامية وما أوردوه في الوصية، فقال: "والأمر الثاني هو شأن العهد مع النبي ﷺ وما تدعيه الشيعة من وصيته لعليّ ﷺ، وهو أمر لم يصح ولا نقله أحد من أئمة النقل"⁴.

وقال: "حتى لقد ذهب كثير من الشيعة إلى أن النبي ﷺ أوصى في مرضه ذلك لعليّ، ولم يصح ذلك من وجه يعول عليه"⁵.

1 عبد الرحمن بن خلدون، العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر المسمى تاريخ ابن خلدون، ج 1 ص 573.

2 المصدر السابق، ج 1 ص 574.

3 المصدر السابق، ج 1 ص 246.

4 المصدر السابق: ج 1 ص 265.

5 المصدر السابق: ج 3 ص 215.

أما ما ورد عنه من انتقاد أحاديث المهدي وردها، فإن ذلك كان باجتهاد منه، وقد أوصله اجتهاده إلى عدم صحة شيء مما ورد في الباب؛ وقد ظهر لي من خلال تتبع طرحه في هاته المسألة، أنه تأثر بالبيئة المغربية التي عانت من بدعة الشيعة الرافضة في غلوهم في هذا الباب، فعقيدتهم مليئة بالخرافات، ومن ذلك اعتقادهم في المهدي البعيد عن السنة، الذي وضعوا فيه أحاديث تخالف الأصول وتناقض المنقول والمعقول، وقد أورث هذا لدى ابن خلدون رحمه الله شخصية تميل إلى نقد ما يتعلق بهذا الباب والله أعلم، مع ذلك ظهر لي من خلال تأمل كلامه في الباب أنه متردد في الموضوع ولم يجزم.

قال رحمه الله: "فإن صحَّ ظهور هذا المهديّ فلا وجه لظهور دعوته إلّا بأن يكون منهم ويؤلف الله بين قلوبهم في اتّباعه حتّى تتمّ له شوكة وعصبية وافية بإظهار كلمته وحمل النّاس عليها وأمّا على غير هذا الوجه مثل أن يدعو فاطميّ منهم إلى مثل هذا الأمر في أفق من الآفاق من غير عصبية ولا شوكة إلّا مجرد نسبة في أهل البيت فلا يتمّ ذلك ولا يمكن لما أسلفناه من البراهين الصّحيحة"¹.

3. مذاهب علماء السنة في أحاديث الطب النبوي، وتمييزها عن أهواء المخالفين

1.3. أقوال علماء السنة في منزلة أحاديث الطب النبوي:

هذه المسألة متفرعة عن المسألة المشهورة عند أهل العلم، خاصة في مباحث أصول الفقه وهي: هل النبي ﷺ معصوم في غير أمور الشرع وتبليغ الدين؟، وتفرع عنها مذاهبهم في مرتبة الأحاديث الواردة في الطب، ويمكن حصرها في مذهبين:

المذهب الأول: أنها متلقاة من الوحي.

ومن أشهر القائلين بذلك العلامة ابن القيم رحمه الله، وكلامه صريح في ذلك لمن تأمله، فقد قال رحمه الله: "وليس طبه ﷺ كطب الأطباء، فإن طب النبي ﷺ متيقن قطعي إلهي، صادر عن الوحي، ومشكاة النبوة، وكمال العقل، وطب غيره أكثره حدس وظنون، وتجارب، ولا ينكر عدم انتفاع كثير من المرضى بطب النبوة، فإنه إنما ينتفع به من تلقاه بالقبول، واعتقاد الشفاء به، وكمال التلقي له بالإيمان والإذعان"².

وتناول في موضع آخر طب الأطباء والحكماء ثم قال رحمه الله: "وأين يقع هذا وأمثاله من الوحي الذي يوحيه الله إلى رسوله بما ينفعه ويضره، فنسبة ما عندهم من الطب إلى هذا الوحي كنسبة ما عندهم من العلوم إلى ما جاءت به الأنبياء، بل ها هنا من الأدوية التي تشفي من الأمراض ما لم يتهد إليها عقول أكابر الأطباء، ولم تصل إليها علومهم وتجاربهم" ثم ذكر الأدوية الروحانية، من الأدعية والأذكار ونحوها³.

1 المصدر السابق: ج 1 ص 408.

2 محمد بن أبي بكر شمس الدين ابن قيم الجوزية، الطب النبوي، ص 29.

3 المصدر السابق، ص 10.

قلت: وهذه الأخيرة لا ينازع أحدٌ أنها من الوحي¹.

وتأمل في جوابه عن استشكل حديث إبراد الحمى بالماء، يظهر لك اعتباره الطب النبوي قطعي لكنه يفتقر أحياناً إلى فقه وفهم وتوجيه، حيث ذكر رحمه الله حديث ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «إنما الحمى أو شدة من فيح جهنم، فأبردوها بالماء»²، وذكر استشكل بعض جهلة الأطباء كما وصفهم وأنهم رأوه منافياً لعلاج الحمى، وبين أن إزالة الإشكال بمعرفة أن خطاب النبي ﷺ نوعان، عام للناس جميعاً، وخاص لبعضهم دون بعض، وخطابه في دواء الحمى بالماء خاص بأهل الحجاز، وما والاهم، حيث أن عامة الحميات التي تصيبهم يناسبها الماء اغتسالًا وشراباً³.

فيفهم من تقريره رحمه الله أنه هنا يتعامل ما ورد عن النبي ﷺ في الطب أنه قطعي، لكنه يحتاج إلى فهم، وحسن تعامل معه، فهو يرى حجية ما نقل عنه في باب الطب⁴؛ وكذلك كلام شيخه شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله يومئذ إلى هذا الرأي.

قال رحمه الله: "وقول السائل: ما قاله في عمره أو بعد النبوة أو تشريعاً، فكل ما قاله بعد النبوة وأقر عليه ولم ينسخ فهو تشريع، لكن التشريع يتضمن الإيجاب والتحریم والإباحة، ويدخل في ذلك ما دل عليه من المنافع في الطب، فإنه يتضمن إباحة ذلك الدواء والانتفاع به فهو شرع لإباحته وقد يكون شرعاً لاستحبابه"⁵.

وكذلك صنيع المحدثين في تراجهمهم على أحاديث الطب يفهم منه القول بهذا المذهب.

وانظر كتاب الطب في كتب السنة كصحیح البخاري وغيره، تجد تراجهمهم لأحاديث الطب، كباب: الشفاء في ثلاث، وباب: الدواء بالعسل، وباب: الدواء باللبان الإبل، وغيرها عند البخاري؛ وباب: ما أنزل الله داء إلا أنزل الله شفاء، عند ابن ماجة وغيرها⁶.

وإيراد المحدثين لهاته الأحاديث يدل على اعتبارهم نصوص هذا الباب الواردة في السنة نابعة من الوحي، إلا ما وردت قرينة تدل على استثنائه.

1 وسيأتي تحرير محل النزاع في هاته المسألة في الأجوبة عن استدلالات أصحاب الرأي الثاني.

2 متفق عليه.

3 انظر: شمس الدين محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، الطب النبوي ص 21.

4 وانظر: محمد سليمان الأشقر، أفعال الرسول صلى الله عليه وسلم ودلالاتها على الأحكام الشرعية، ج 1 ص 242.

5 ابن تيمية أحمد بن عبد الحلیم، مجموع الفتاوى، ج 18 ص 11، كان هذا جواباً عن سؤال قال فيه صاحبه: "ما حد الحديث النبوي؟ أهو ما قاله في عمره أو بعد البعثة أو تشريعاً" انظر: ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ج 18 ص 6. وانظر د. حنان حسن عبد الرحمن الخشت، الأحاديث المشككة في الطب النبوي من الصحيحين التداوي أنموذجاً، ج 1 ص 185.

6 وانظر: محمد سليمان الأشقر، أفعال الرسول صلى الله عليه وسلم ودلالاتها على الأحكام الشرعية، ج 1 ص 242.

المذهب الثاني: أنها من رأي النبي ﷺ واجتهاده.

وقد اشتهر هذا القول عن ابن خلدون رحمه الله، فقال رحمه الله: "وللبادية من أهل العمران طبّ يبنونه في غالب الأمر على تجربة قاصرة على بعض الأشخاص، متوارثا عن مشايخ الحيّ وعجائزه..."¹ ثم قال: "والطّب المنقول في الشرعيّات من هذا القبيل وليس من الوحي في شيء وإنّما هو أمر كان عادياً للعرب، ووقع في ذكر أحوال النبي ﷺ من نوع ذكر أحواله التي هي عادة وجبلة لا من جهة أنّ ذلك مشروع على ذلك النحو من العمل، فإنّه ﷺ إنّما بعث ليعلمنا الشرائع ولم يبعث لتعريف الطّب ولا غيره من العاديّات، وقد وقع له في شأن تلقيح النخل ما وقع فقال: «أنتم أعلم بأمور دنياكم»، فلا ينبغي أن يحمل شيء من الطّب الذي وقع في الأحاديث الصحيحة المنقولة على أنّه مشروع فليس هناك ما يدلّ عليه".¹

كلام ابن خلدون رحمه الله له احتمالان:

الاحتمال الأول: أنه أراد أن ما ورد عن النبي ﷺ في باب الطب ليس هو من قبيل الأمور المتعبد بها، وإنّما هو من الأمور العادية التي من أخذ بها أو لم يأخذ فهما سيان، كغيره من مصالح الدنيا التي يدلّ عليها النبي ﷺ، لذلك فإن النبي ﷺ لم يعاتب في عدم الأخذ برأيه في تأبير النخل حيث قال: أنتم أعلم بشؤون دنياكم، وقد أشار إلى ذلك المصنف رحمه الله.

وهذا التوجيه لا ينفي أن يكون بعض ما نقل عنه في هذا الباب باب الطب طريقه الوحي لكنه ليس من المتعبد به، فحتى لو كان قطعياً مُصدّقاً فإنه من مصالح الدنيا.

الاحتمال الثاني: ويحتمل أنه أراد أن النبي ﷺ لم يوحّ إليه في شأن الطب شيء، فهي من الأمور الاجتهادية القائمة على تجارب الناس وحكمهم في هذا الباب ولا مدخل للوحي فيها، فلم تأت الشرائع إلا لإقامة مصالح الدين.

والذي يظهر أنه رحمه الله أراد الأمرين، أي أن أحاديث الطب لديه ليست من الوحي وإنّما من اجتهادات النبي ﷺ، ومما نقله من الطب المتعارف عليه عند العرب، وهذا يلزم منه أنه ليس من الأمور المتعبد بها.

أما المعنى الأول فكلامه فيه وجيه جداً، حيث إن الأخذ بالطب النبوي ﷺ ليس ملزماً كسائر الشرائع، ولا هو من الأمور المتعبد بها في الأصل، إلا ما استثناه المصنف مما هو واقع في الطب الروحاني، حيث يأخذ به العبد استحباباً على وجه التبرك بكلام الله سبحانه وتعالى وما ورد عن النبي ﷺ من الرقي بالأدعية والأذكار المشروعة، فإنه يثاب على ذلك بهذا الاعتبار، وهو من التأسّي بالنبي ﷺ، ويستثنى أيضاً ما فيه

1 ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون: ج 1 ص 651.

تشريع ظاهر من الإباحة والاستحباب ونحوها كما سيأتي الإشارة إليه في تحرير محل النزاع عند الجواب عن أدلة هذا الفريق.

وإن أرد المعنى الثاني فإنه يعترض وينتقض عليه من عدة وجوه يأتي ذكرها في المبحث الآتي. ومن المرجحين له في عصرنا، الدكتور محمد سليمان الأشقر حيث قرّر أن أقوال النبي ﷺ وأفعاله الدنيوية ليست تشريعاً، فقال حينما ذكر لأدلة أصحاب هذا القول: "أنه لا يلزم أن يكون اعتقاده في أمور الدنيا مطابقاً للواقع، بل قد يقع الخطأ في ذلك الاعتقاد قليلاً أو كثيراً، بل قد يصيب غيره حيث يخطئ هو ﷺ، قالوا: وليس في ذلك حطٌّ من منصبه العظيم الذي أكرمه الله به، لأن منصب النبوة منصبٌ على العلم بالأمور الدنيوية"¹، ويدخل في ذلك ما ورد في الطب النبوي، وذكر أصحاب هذا الرأي بعض الأدلة: قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ﴾ [الكهف: 110]، وقوله: ﴿قُلْ سُبْحَانَ رَبِّيَ هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا﴾ [الإسراء: 93].

قوله ﷺ: «إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ إِذَا أَمَرْتُكُمْ بِشَيْءٍ مِنْ دِينِكُمْ فَخُذُوا بِهِ، وَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِشَيْءٍ مِنْ رَأْيٍ فَإِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ»، وفي رواية: «أَنْتُمْ أَعْلَمُ بِأَمْرِ دُنْيَاكُمْ»².

إن الحباب بن المنذر، قال في سياق غزوة بدر: يا رسول الله: أرايت هذا المنزل، أمتزل أنزلكه الله، ليس لنا أن نتقدمه، ولا نتأخر عنه، أم هو الرأي والحرب والمكيدة؟ قال: بل هو الرأي والحرب والمكيدة. فقال: يا رسول الله، فإن هذا ليس بمنزل، فانهض حتى تأتي أدنى ماء من القوم، فننزله، ثم نغور ما وراءه من القلب، ثم نبي عليه حوضاً فنملؤه ماء، ثم نقاتل القوم فنشرب ولا يشربون. فقال رسول الله ﷺ: لقد أشرت بالرأي.

واستأنسوا بما ورد عن عائشة رضي الله عنها من أنه ﷺ كان يسقم في آخر عمره وكانت الوفود ينعنون له الأنعام والوصفات³.

وسياأتي مناقشة هاته الأدلة في المطلب الأول من المبحث الثاني.

1 قال الدكتور الأشقر: "نعني بالأمور الدنيوية ما فعله صلى الله عليه وسلم بقصد تحصيل نفع في البدن أو المال، له أو لغيره، أو دفع ضرر كذلك، أو دبر تدبيراً في شأنه خاصة أو شؤون المسلمين عامة، لغرض التوصل إلى جلب نفع أو دفع ضرر، الضرب الأول: الأفعال الطبية، وهي ما يجريه على بدنه خاصة، أو أبدان غيره من الناس بقصد دفع مرضي حاضر أو متوقع، فقد تناول النبي ﷺ، أو أعطى غيره، أطعمه وأشربه متنوعة على سبيل حفظ الصحة، أو لدرء أمراض معينة، كالأبل والإبل وأبوالها، وكذلك تعاطى وأعطى أنواعاً مختلفة من العلاج، فقد احتجم واستعط، وكانت حجامته في وسط رأسه، وكانت حجامته من شقيقة كانت به، ولما اشتد به وجعه أهريق عليه من سبع قرب لم تحلل أوكيتهن ولما جرح بأحد، ألصق على جرحه رماد حصير ليرقأ الدم، وداوى بريقه مع تراب ورفض أدوية معينة كاللدود". انظر: الأشقر، أفعال الرسول صلى الله عليه وسلم ودلالاتها على الأحكام الشرعية ج 1 ص 239.

2 أخرجه مسلم في "صحيحه" (95 / 7) برقم: (2363)، وغيره.

3 سياأتي الإشارة إلى ضعفه ص 30 في الهامش من هذا البحث.

2.3. تمييز أقوال أعداء السنة ومن تأثر بهم عن أقوال أهل السنة.

إن من الواجب على أهل العلم وطلابه خاصة في زماننا أن يميزوا آراء أهل العلم المعظمين لدين الله كتاباً وسنة عن غيرهم من الجهلة الخائضين فيما لا يحسنون، أو أعداء السنة الذين جعلوا مذهب من رأى عدم الحجية فيما نقل عن النبي ﷺ في أمور الدنيا ذريعة لنشر باطلهم؛ والفرقان بين الفريقين لا يخفى على كل ذي لبٍّ، فأهل العلم الذي رأوا ذلك المذهب يعتقدون حجية ما صح عن النبي ﷺ من السنة المطهرة في العقائد والأحكام، ويوجبون العلم أو غلبة الظن والعمل بما ورد فيها من أخبار وأحكام، إلا أنهم استثنوا ما استثنوه من الأحاديث الواردة في أمور الدنيا والطب ونحوهما، واستثنواؤهم ذلك بنوه على ما ورد في السنة نفسها، كقوله ﷺ في حادثة تأبير النخل المشهورة: «أَنْتُمْ أَعْلَمُ بِأَمْرِ دُنْيَاكُمْ»، ونحوها من الأدلة التي استدلو بها.

وعللوا بتعليلات، كتعليل ابن خلدون رحمه الله من أنه ﷺ إنما بعث لتعليمنا الشرع لا الطب¹. وبغض النظر عن صواب أو خطأ هذا الرأي، فإن القصد تمييز هذا الرأي عن رأي الزنادقة وأعداء السنة، فإنهم أرادوا إسقاط حجية السنة النبوية جملة، والخط من منزلتها، وجعلوا مثل هاته الآراء الواردة عن بعض أهل العلم مطية للاستهزاء بأحاديث الطب النبوي.

وما أحسن وصف القاضي عياض رحمه الله لهذا الصنف بين يدي ذكر جملة من أحاديث الطب: "وقد وقع في بعضها تشنيع ممن في قلبه مرض ومن ناشئة المتلاعبين من يلهج بذكر هذه الأحاديث استهزاء"².

فانظر ما تفوه به مثلاً د. عماد بوظو، مقال عنون له: هل تتماشى أحاديث الطب النبوي مع العصر؟، ثم راح يصول ويجول مخلطاً محاولاً تلطيخ سمعة علماء الحديث، واصفاً من يتمسك بالطب النبوي بأوصاف التخلف والتعصب والجنانية على أبدان الناس بعيداً عن التطور الذي وصل إليه الطب الحديث بزعمه، ثم تجاوز ذلك إلى أحاديث يجمع العلماء أنها من الوحي، كحديث جناحي الذبابة، فيوهم كل من يقرأ له أن العلم الحديث توصل إلى ما يعارض ويناقض ما دلت عليه هاته النصوص وما ورد في الطب النبوي، بينما الواقع خلاف ما يحاول إقناع قراءه به!، فأولى له بدلاً من هذه الثثرة العرية عن الحجج، والنقد المجرد الصادر من الحقد الدفين على علماء الحديث أن يأتي بحقيقة علمية واحدة من مصدر موثوق تناقض ما رام الخط منه مما ورد عن الصادق المصدوق ﷺ³.

بل قد تأثر بعض الكتاب المسلمين بالتشكيك في أحاديث الطب مطلقاً، فتجد بعضهم يتكلم عنها باستحياء، وكأنها وصمة عار لحقت بالسنة النبوية.

1 عبد الرحمن بن خلدون، تاريخ ابن خلدون: ج 1 ص 651.

2 عياض بن موسى اليحصبي السبتي، أبو الفضل، إكمال المعلم بفوائد مسلم، ج 7 ص 112.

3 انظر: د عماد بوظو: هل تتماشى أحاديث 'الطب النبوي' مع العصر؟.

وانظر مثلاً لما كتبه بعضهم في مقال له بعنوان: نقد الحديث من خلال متنه: أحاديث الطب النبوي نموذجاً، فإنه لم يعط المسألة حقها من البحث العلمي، فلا هو تناولها بنقد الأحاديث نقداً حديثياً معتبراً، ولا هو سلط عليها نتائج البحث العلمي التجريبي فتبين معارضتها، بل راح ينقل عن غيره من غير تمحيص ولا دراية واطلاع على واقع كل حديث ورد في الطب النبوي، وبدأ بحثه شاكاً مرتاباً وختمه بالشك والريب!.

وراح يتناول هذا الباب بنفسية شبيهة بالباحث الذي سبق ذكره، فبنى بحثه على تقرير أهمية نقد المتن وساق في ذلك كلام بعض أئمة هذا الشأن، لكنه أسرف في تطبيقها تطبيقاً مجملاً على أحاديث الطب، متوقعاً أن النتيجة الحتمية ستكون إسقاط الكثير منها.

فظهر مشفقاً من تطبيق منهج النقد على أحاديث الطب وأنه لو طبقنا منهج النقد للمتون لاكتشفنا أن النبي ﷺ خالف العلم في كثير مما صدر عنه في الباب!، وعبر بأسلوب لا يليق بمقام النبوة، وادعى مجازفةً أن أحاديث الطب خالفت العلم وظاهرها الصحة، وهو إن أحسننا به الظن إنما أراد بزعمه أن ينفي عن النبي ﷺ التناقض.

مع هذا كله لم يكلف نفسه تطبيق قواعد النقد الحديثي ولا العلم التجريبي لينظر هل في متونها ما يناقض الأصول أو يعارض المعقول أو خالف علمه التجريبي المقدس؟!، فما زاد على أن جمع كلام بعض شراح الحديث في متفرقات من أجوبتهم عن مشكل الحديث ومحاولتهم التوفيق بين النصوص الواردة في الباب، وأظهرها بصورة توهم تكلفهم في الجمع بين النصوص، وحقها لديه الطرح والرد جزافاً، فضاق ذرعاً من تعظيمهم لتلك النصوص وتورعهم في طرحها، فليته وسعه ما وسعهم فإنهم رحمهم الله وإلّا تزل لديهم بعض تلك الإشكالات المتعلقة بتعارض ظواهر تلك الأحاديث، إلا أنهم تورعوا ولم يتكلفوا ووقفوا عندما علموا، ولو أدركوا زماننا لرأوا من دلائل النبوة في تلك النصوص ما يجعلهم يزدادون إيماناً إلى إيمانهم.

وإن أسوأ ما قاله في بحثه هذا حينما تطرق إلى حديث التصحيح بسبع تمرات وما فيه من وقاية من السم والسحر:

"أما في العصر الحديث فقد انهالت الشتائم على من تسرع برد هذا الحديث بالحس والطب واحتج من دافع عنه بانتظار المستقبل، ليكشف لنا أن التمر يعالج السم والسحر؛ لأنه إلى اليوم لا توجد مخابر راقية تكشف خواص العجوة، وكان ردهم على من رد الحديث، بأنه هل ثبت له بالتجربة أن معنى الحديث باطل؟ وهذا السؤال يجب أن يكون عكسياً، إذ إن من رد الحديث عن طريق التجربة لا يؤمن به حتى يجربه، أما من سلم بصحته، فبديل أن ينتظر المخابر الراقية لمعرفة خواص العجوة، عليه أن يثبت لكل

من تراوده نفسه أن يكون هذا كلام النبي ﷺ، بأن يباشر ويتصبح بعجوة المدينة ويحتسي سما قاتلا، ويظهر النتيجة المعجزة!¹

وقد ساق بعد ذلك حادثة سحر النبي ﷺ، وأحاديث التصبح على تمر العجوة، وأحاديث العدوى، وتهكم بتناقض الروايات فيها وما علم أنه آتي من قصور فهمه وقلة اطلاعه، وانضاف إلى ذلك جهله بباب الطب والعلم التجريبي².

وكان الأولى به هو قبل أن تخط يمينه ما خطت أن يتناول كل حديث من أحاديث الطب على حدة، ويطبق عليه ما شاء من القواعد الصحيحة، خاصة أنه في زمن توفر لديه من معطيات العلم التجريبي ما لو سُلِّط على أحاديث الطب النبوي لظهرت موافقتها أو مخالفتها للواقع والتجربة، وقد كفاه أهل الاختصاص مؤنة ذلك.

لذا كان من أحسن التوجيهات والتقارير ما قرره ابن القيم رحمه الله حيث أشار إلى أن كثيرا من جهلة الأطباء فضلاً عما هم دونهم تسرعوا في رد بعض ما ورد في السنة من الطب النبوي، وكان الأولى بهم أن يفقهوها ويفهموها³، فإن كثيرا منها يحتاج تأويلاً وتوجيهاً، يفتقر إلى علم باللغة والسياق والطب من جهة أخرى، وإلا فإن فيها من دلائل النبوة وصدق المخبر ﷺ ما يتوصل إليه من سلك السبيل الصحيح في التعامل مع الأحاديث النبوية.

ويؤيد هذا المعنى تقرير المازري رحمه الله حيث قال: "فنقول قل ما يوجد في علم الافتقار إلى التفصيل مثل ما يوجد في صناعة الطب، حتى أن المريض يكون الشيء دواؤه في هذه الساعة، ثم يعود داء في الساعة التي تليها لعارض يعرض له من غضب يحمي مزاجه فينتقل علاجه، أو هواء يتغير ينقل علاجه إلى غير ذلك مما لا يحصى كثرة، فإذا وجد الشفاء بشيء ما في حالة ما فلا يطلب به التشفي في سائر الأحوال في سائر

1 كأنه يعرض في قوله هذا بالشيخ مصطفى السباعي رحمه الله: "وإذا كان الطب الحديث لم يوفق في اكتشاف سائر خواص العجوة حتى الآن، أفليس من الخطأ، التسرع إلى الحكم بوضعه، وهل إدعى أحد أن الطب انتهى إلى غايته، أو أنه اكتشف كل خاصة لكل من المأكولات والمشروبات والنباتات والثمار التي في الدنيا؟ إنك لا تشك معي في أن إقدام مؤلف "فجر الإسلام" على القطع بتكذيب هذا الحديث جُرأة بالغة منه لا يمكن أن تقبل في المحيط العلمي بأي حال: ما دام سنده صحيحاً بلا نزاع، وما دام متنه صحيحاً على وجه الإجمال، ولا يضره بعد ذلك أن الطب لم يكتشف حتى الآن بقية ما دل عليه من خواص العجوة، ويقيني أنه لو كان في الحجاز معاهد طبية راقية أو لو كان تمر العالية موجوداً عند الغُرَبِيِّينَ، لاستطاع التحليل الطبي الحديث أن يكتشف فيه خواص كثيرة: ولعله يستطيع أن يكتشف هذه الخاصية العجيبة، إن لم يكن اليوم ففي المستقبل إن شاء الله". مصطفى بن حسني السباعي، السنة ومكانتها للسباعي: ج 1 ص 285.

وهذا الذي توقعه السباعي رحمه الله منطلق من أدبه مع النبي صلى الله عليه وسلم ويقتضيه أنه لا ينطق عن هوى أو تخرص، وقد حصل ما توقعه فظهرت التجارب العلمية اليوم بنتائج مبهره في خواص التمر عموماً فضلاً عن تمر المدينة أو العجوة منه خاصة، وسيأتي في هذا البحث الإشارة إلى شيء من ذلك.

2 انظر: عمار الحبري، نقد الحديث من خلال متنه: أحاديث الطب النبوي نموذجاً.

3 أنظر: محمد بن أبي بكر شمس الدين ابن قيم الجوزية، زاد المعاد في هدي خير العباد: ج 4 ص 30.

الأشخاص، والأطباء مجتمعون على أن المرض الواحد يختلف علاجه باختلاف السن والزمن والعادة والغذاء المتقدم والتدبير المألوف وقوة الطباع"¹.

ورحم الله ابن القيم كأنه في زماننا إذ يقول: "ولو أن هؤلاء الجهال وجدوا دواء منصوباً عن بعض اليهود والنصارى والمشركين من الأطباء، لتلقوه بالقبول والتسليم، ولم يتوقفوا على تجربته"². وهذا الصنف الذي أشار إليه ينطبق تماماً على الكتّاب المُحدثين الانهزاميين الحديثيين!

4. مناقشة رأي ابن خلدون ومن وافقه

1.4. الجواب عن استدلالات ابن خلدون رحمه الله ومن وافقه.

لابد أولاً من تحرير محل النزاع في هاتِهِ المسألة، فإنه مما لا ريب فيه أن أهل العلم لا يختلفون في كل الأحاديث الواردة في الطب أنها من الوحي وأنها قطعية، إنما المختلف فيه هو ما يتعلق بباب الأدوية والأشفية وطرق التداوي ونحو ذلك، وإلا فإن من أحاديث الطب ما هو مرتبط بالأحكام الشرعية، من إباحة وتحريم، وكذا ما يتعلق ببعض أمور الغيب كإخباره ﷺ أنه ما من داء إلا أنزل الله له دواء، وما يرتبط بثواب المرض من تكفير للسيئات، وفضل الرقي ببعض الأدعية والأذكار ونحوها.

فالحاصل أن كلام ابن خلدون ومن وافقه إنما هو عن الأمور الطبية التي يظهر أنها اجتهادية مما ورد عن النبي ﷺ، في وصف بعض العلاجات، والإخبار عن بعض المنافع الطبية، قالوا أنها مما نقله النبي ﷺ عن غيره أو اجتهد فيه بحسب ما ظهر له من نفعه كسائر مصالح الدنيا.

يجاب عنهم إجمالاً بما يلي:

الوجه الأول: أن الأصل في كلام النبي ﷺ أنه وحي فلا يخرج عن ذلك إلا بقريضة، دل على ذلك، عموم قوله تعالى: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى (٤) عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى (٥)﴾ [النجم: 45]. وما ورد عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه قال: «كُنْتُ أَكْتُبُ كُلَّ شَيْءٍ أَسْمَعُهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أُرِيدُ حِفْظَهُ، فَهَتَنِي قُرَيْشٌ، وَقَالُوا: تَكْتُبُ كُلَّ شَيْءٍ سَمِعْتَهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَشَرٌ يَتَكَلَّمُ فِي الْغَضَبِ وَالرِّضَاءِ؟ فَأَمْسَكْتُ عَنِ الْكِتَابِ، فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَأَوْمَأَ بِإِصْبَعِهِ إِلَيَّ فِيهِ، وَقَالَ: أَكْتُبْ فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا خَرَجَ مِنْهُ إِلَّا حَقٌّ»³.

الوجه الثاني: الناظر تعامل المحدثين الذين دونوا السنة وجمعوها وصنفوها فيها وبوبوها، يرى أنهم كانوا لا يفرقون بين الوارد عن النبي ﷺ في الطب وغيره، وضمنوه مصنفاتهم في السنة النبوية وترجموا عليه تراجم على حسب ما يناسبها، بغض النظر عن كونها أموراً متعبداً بها أو لا، وصنيعهم هذا حجة على من بعدهم في الباب، فهم أعلم الناس بالنبي وبسنته، والله أعلم.

1 المازري، المعلم بفوائد مسلم، ج 3 ص 169.

2 ابن القيم، زاد المعاد في هدي خير العباد، ج 4 ص 324.

3 أخرجه أبو داود في "سننه" (3/ 356) برقم: (3646) والدارمي في "مسنده" (1/ 429) برقم: (501)، وغيرهم.

ثم "من المعلوم من دين الصحابة وعاداتهم ومبادئهم إلى تصديق النبي ﷺ في جميع أقواله والثقة بجميع إخباره في أي باب كانت وعن أي شيء وقعت دون توقف أو تردد في شيء منها"¹.

الوجه الثالث: ويجاب عن النصوص التي استدلت بها على بشرية النبي ﷺ في كلامه في أمور الدنيا، كقوله ﷺ: «إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ إِذَا أَمَرْتُكُمْ بِشَيْءٍ مِنْ دِينِكُمْ فَخُذُوا بِهِ، وَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِشَيْءٍ مِنْ رَأْيِي فَإِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ»، وفي رواية: «أَنْتُمْ أَعْلَمُ بِأَمْرِ دُنْيَاكُمْ»²، ونحو هاته الروايات.

أنَّ الحديث الأول بيّن لهم ﷺ أنه بشرٌ قد يتكلم برأيه، فالذي يلزمهم إنما هو ما أمرهم به من أمر دينهم، ولا يلزمهم الأخذ برأيه فيما سوى ذلك، وهذا تماماً الذي ينطبق على حادثة التأبير فإنه بيّن لهم فيما بعد أنه من رأيه ﷺ البشري، ولم يقل لهم إذا أخبرتكم عن شيء من أمر الدنيا فإنه ليس وحياً.

فالشطر الأول منه غاية ما يستدل به عدم إلزامهم بالأمر إذا كان في شأن الدنيا، وهذا في الحقيقة ينطبق على كل مصالح الدنيا الغير متعبد بها سواء ظهر أنها من رأيه المجرد عن الوحي، أو كانت على الأصل من الوحي فلا يلزمهم الأخذ به ما دام غير متعبد به؛ أما مسألتنا فهي إطلاق نفي صفة الوحي عن كل الوارد من أحاديثه في أمور الدنيا ومن ذلك الطب، فإنه مع كونه غير ملزم لهم، إلا أن منه ما جاءت القرائن تدل على أنه وحي، وسيأتي ذكر بعض الأمثلة تدل في ذلك.

والحديث الثاني يدل على أن أهل الدنيا أعلم بمصالحهم كلٌ فيما هو متخصص فيه متفرغ له كأهل الزراعة وأهل الصناعة والطب وغيرهم، لكن لا ينفي ذلك بحال أنه قد يوحى إلى النبي ﷺ شيء من ذلك، فيكون مقطوعاً به، فيصير النبي ﷺ في هاته الحال أعلم من غيره بذلك الأمر الذي ظهر أنه لم يتكلم فيه بالرأي المجرد، فليس كل أمر دنيوي ورد عنه ﷺ تكلم فيه بالرأي.

فالحاصل أن ما يصدر عن النبي ﷺ في أمور الدنيا يتجاوزه احتمالان:

الاحتمال الأول: أنها على الأصل أنها من قبيل الوحي، فإن ما يصدر عنه ﷺ بعد نبوته، داخل في عموم قوله تعالى: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم: 34]، ولم يفرق بين أمور الدين ولا الدنيا، وقوله: اكتب فوالذي نفسي بيده ما خرج منه إلا حق.

الاحتمال الثاني: أنها صادرة من مقتضى البشرية، للأحاديث السابقة التي أشار فيها أن ﷺ قد يكون له الرأي في الشيء من أمر الدنيا كغيره من البشر.

وإن كانت بعض النصوص أوامراً إلى حصر عصمته في تبليغ الدين، مع ما تقرر أنَّ باب الطب في الأصل هو من أمور الدنيا التي لا ينقص من قدره الخطأ فيها، لكن ينبغي هاهنا مراعاة أمرين:

الأول: أن من أحاديث الطب ما يتضمن تشريعاً متعبداً به، أو إخباراً عن أمرٍ مغيبٍ، فكيف يقال فيه أن من رأيه؟!.

1 محمد بن خليفة التميمي، حث الأتباع على تجريد الاتباع، ص156.

2 مضى في ص: 12.

الثاني: لا ريب أن النبي ﷺ لا يكثر منه الخطأ والوهم في ذلك لو وجد حتى يكون كالمغفل حشاه، لذلك كانت الأمثلة المنقولة عنه ﷺ في أمور الدنيا مما تبين خطأها فيها محصورة جداً¹.
فليس من اللائق في الكلام عنه ﷺ أن يطلق القول بتسويته بغيره من الناس، كلا بل هو أحق الناس وأذكاهم وأفطنهم فيما تكلم فيه ودلّ عليه من مصالح الدنيا، أما ما تركه للناس ولم يتكلم فيه فشأنه آخر؛ فلم يكن ﷺ يكثر الكلام فيما لا يحسنه من الدنيا، لذا فإن باب الطب فيما يظهر لي كلامه فيه ﷺ ليس كغيره من مصالح الدنيا الأخرى كالزراعة مثلاً، فإن النقل عنه ﷺ في باب الطب كثير طيب، ومن غير اللائق بأحد الناس فضلاً عن النبي ﷺ أن يكثر الخوض فيما لا يعلم ولا حذق له فيه، فيعرض الناس للضرر في أبدانهم، وهو ﷺ لم يكن طبيباً ولا تعلم الطب، فيكون حذقه فيه من خصائص وأمارات النبوة، وقد تبين لنا ذلك من خلال بعض الأمثلة في الأدوية الدقيقة التي يستحيل الاهتداء إلى منافعها آنذاك إلا بالوحي.

الوجه الرابع: من خلال قوله ﷺ: «مَنْ تَطَبَّبَ وَلَمْ يُعْلَمْ مِنْهُ طِبٌّ قَبْلَ ذَلِكَ فَهُوَ ضَامِنٌ»²، وهذا الحديث متضمن للنهي عن التطبيب لمن لا يعلم منه معرفة به، ومعلوم أن النبي ﷺ لم يعرف عنه تعلم الطب، ومع ذلك كان ﷺ يصف أشياء من الطب للناس، فلا تحمل إلا على أن أصل ذلك من قبيل ما يوحى إليه والله أعلم، أو أنه معلوم المنفعة لديه ولدى الناس آنذاك، إلا ما ورد فيه قرينة تنفي ذلك وأرجعه هو ﷺ لنظر الناس³، وإلا لزم منه أنه ﷺ قد يصف لبعض المرضى ما ليس مناسباً له وقد يلحق به الضرر فيكون ﷺ ضامناً، واقعا فيما نهى عنه حشاه، أو أنه يخبر بشيء فيه دواء أو شفاء وهو بخلاف ذلك، وهذا لا يليق بعصمته ﷺ، فلم يكن النبي ﷺ يخوض فيما لا يحسنه ولا حفظ عنه شيء من ذلك، فلم يكن ﷺ من المتكلفين، وإذا تكلم فهو المؤيد المسدد ﷺ، هذا هو الأصل، ولا يمكن أن يقرّه ربه سبحانه وتعالى على ما ليس بحق، أو خلاف الواقع، مما يخبر به مما يترتب عليه ضرر، فهذا لا يليق بمقامه⁴، فكيف إذا كان إخباره عن أمر مغيب زمن تكلمه، وهو ما ينطبق على كثير من أحاديث الطب التي سنذكر نماذج لها.

1 كحديث التأبير المشهور.

2 أخرجه النسائي في "المجتبى" (939 / 1) برقم: (4845 / 9)، (939 / 1) برقم: (4846 / 10)، وأبو داود في "سننه" (4 / 320) برقم: (4586) وابن ماجه في "سننه" (4 / 519) برقم: (346)، وغيرهم.

3 ومما يدخل في ذلك قوله ﷺ: «لَا بَأْسَ بِالرُّقَى مَا لَمْ يَكُنْ فِيهِ شَرٌّ». أخرجه مسلم في "صحيحه" (7 / 19) برقم: (2200)، وغيره.

4 ويستثنى من ذلك ما أشار إليه النبي صلى الله عليه وسلم مما قد يخفى عنه وفيه حكمة وابتلاء مثل احتمال قضائه صلى الله عليه وسلم للمتخاصمين بخلاف الحق مما يخفى عنه، ومثله سهوه في الصلاة وجبره لها بالسجود أو باعتبار الظن الغالب ونحوه، مع أن الله سبحانه وتعالى قادر على أن يوحى إليه بالصواب، فإن في خفاء ذلك حكمة أرادها الله ﷻ. وانظر: محمد أنس سرميني، اتجاهات الدرس الأكاديمي المعاصر في الإعجاز الطبي في السنة النبوية: دراسة نقدية، ص 9.

ولا يعترض على هذا بحادثة تأبير النخل وتلف التمر فإنها واقعة عين قد عالجها بنفسه ولم تتكرر، ثم هو من باب الرأي في اقتراح الناس بعضهم على بعض في مثل هاته الأمور الدنيوية، التي يظهر لبعضهم فيها رأياً مخالفاً لغيره، ثم هو ﷺ لم يكن نهاهم عن التأبير أصلاً، ولا قطع لهم بأنه لا نفع فيه، إنما اقترح اقتراحاً ورأى رأياً، وهم لم يفهموه في ذلك؛ وظنوه أمراً منه، فلما تبين لهم أن كلامه خلاف الواقع والمصلحة بين لهم أنه إنما ظن ظناً، وتبين لهم أنهم لم يفهموا قصده، إذ كان عليهم أن يعارضوه بما هم أخبر فيه منه ﷺ، فإنه كان كالمستغرب المستفسر المعارض، وهم كانوا أهل نخل وزرع، لكنه إنما بدا له شيء تكلم به¹، فأين هذا من توجيهه قد يكون به الضرر في الأبدان، وهل علم أن النبي ﷺ نعت لأحد دواءً فتضرر به، حاشاه؟! بل كل من علم عنه أنه نعت له شيئاً إلا وقد انتفع به في زمانه²، أو من بعده³.

إلا إن قيل إن ذلك ورد عنه ﷺ ليس هو من اجتهاده حتى يطلق عليه أنه تطبب، وإنما هو أمر مجرب عندهم معروف المنفعة، أو نقله عن غيره ممن يعرف منهم الطب، فبذلك تبرؤ ذمته من العهدة، فنقول قد ينطبق هذا على بعض ما نقل عنه في الطب⁴ لا على كله، فإن دلائل السبق والنبوة ظاهرة في كثير من الأحاديث الواردة في الطب.

الوجه الخامس: من خلال ما أشار إليه شيخ الإسلام رحمه الله بقوله: "يدخل في ذلك ما دل عليه من المنافع في الطب، فإنه يتضمن إباحة ذلك الدواء والانتفاع به فهو شرع لإباحته وقد يكون شرعاً لاستحبابه"⁵، وهذا كلام غاية في التحقيق، إذ أن المنافع التي دل عليها النبي ﷺ لا بد أن يستفاد منها في أقل أحوالها إباحة، وإلا فإن بعضها قد ترد معها قرينة الاستحباب، وهذا قد أشار إلى استثنائه ابن خلدون رحمه الله، فإن الآخذ ببعض المنافع التي دل عليها النبي ﷺ قد يحصل الآخذ على الثواب باعتبار نية

1 ثم وجدت كلاماً لشيخ الإسلام رحمه الله أشار فيه إلى هذا المعنى، حيث قال: "وهو لم ينههم عن التلقيح لكن هم غلطوا في ظنهم أنه نهاهم كما غلط من غلط في ظنه أن (الخيطة الأبيض) و (الخيطة الأسود) هو الحبل الأبيض والأسود". أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية، مجموع الفتاوى: ج 18 ص 12.

2 كحديث الذي استطلق بطنه، وحديث العرينين ونحوها.

3 وسيأتي ذكر أمثلة من إعجاز الطب النبوي.

4 ولم أقف على مثال يصلح التمثيل به لذلك، واستدل بعضهم على ذلك بما حدث به هشام بن عروة أنه كان يقول لعائشة ﷺ: يَا أُمَّتَاهُ، لَا أَعْجَبُ مِنْ فَهْمِكَ، أَقُولُ: زَوْجَةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَبُنْتُ أَبِي بَكْرٍ، وَلَا أَعْجَبُ مِنْ عِلْمِكَ بِالشَّعْرِ وَأَيَّامِ النَّاسِ، أَقُولُ: ابْنَةُ أَبِي بَكْرٍ وَكَانَ أَعْلَمَ النَّاسِ أَوْ مِنْ أَعْلَمِ النَّاسِ وَلَكِنْ أَعْجَبُ مِنْ عِلْمِكَ بِالطَّبِّ، كَيْفَ هُوَ؟ وَمِنْ أَيْنَ هُوَ؟ [أَوْ: مَا هُوَ؟] قَالَ: فَضَرَبْتُ عَلَى مَنْكِبِهِ، وَقَالَتْ: أَيُّ عَرِيَّةٍ، إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَسْقُمُ عِنْدَ آخِرِ عُمُرِهِ أَوْ فِي آخِرِ عُمُرِهِ فَكَانَتْ تَقْدُمُ عَلَيْهِ وَفُودُ الْعَرَبِ مِنْ كُلِّ وَجْهِ، فَتَنَعَتْ لَهُ الْأَنْعَاطُ، وَكُنْتُ أَعَالِجُهَا لَهُ، فَمِنْ ثَمٍّ، والخبر ورد بعدة ألفاظ أخرجه الحاكم في "مستدرکه" (4 / 11) برقم: (6804)، (4 / 197) برقم: (7519) وأحمد في "مسنده" (11 / 5895) برقم: (25018) والطبراني في "الكبير" (23 / 182) برقم: (295) والطبراني في "الأوسط" (6 / 155) برقم: (6067)، والحديث قال فيه محققوا المسند: "خبر صحيح" ج 40 ص 441، وقال الحويني: "والحديث لا يصح"، في تنبيه الهاجد إلى ما وقع من النظر في كتب الأماجد، ج 2 ص 34، والحق أن الطرق التي ورد بها لا تسلم من علة، فضلاً عن كونه لا يقوم للدلالة على المقصود فغاية ما فيه أن عائشة ﷺ تعلمت الطب من كثرة ما سمعت من الناس، وليس فيه دلالة على أن النبي صلى الله عليه وسلم نقل عنهم ذلك الطب.

5 ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ج 18 ص 12.

الاعتداء بالنبي ﷺ أو التبرك بفعله وقوله، لذا كان صنيع المحدثين في تراجمهم على أحاديث الطب من هذا القبيل والله أعلم، وهذا الوجه وإن كان مما قد يخرج عن محل النزاع كما مضى، إلا أنه يكون دليلاً على ضعف إطلاق القول بنفي صفة الوحي عما ورد في باب الطب.

الوجه السادس: أيضاً مما يقال إن كثرة الوارد عن النبي ﷺ في باب الطب يمنع أن يكون فيه مدخل للزلل وكثرة الخطأ الذي يكون ذريعة للشك والريب في نبوته.

الوجه السابع: أن الموضوع والله أعلم يحتاج فيه الباحث أن يقف على كل حديث على حدة، فإن لكل حديث ملابساته، ومن الورع في التعامل مع كلام الصادق المصدوق ﷺ التثبت قبل نفي صفة الوحي عن كلامه في باب معين بإطلاق.

الوجه الثامن: قد يسلم لابن خلدون رحمه الله ومن وافقه أن تكون بعض الأمثلة من أحاديث الطب لا تكون من قبيل الوحي¹ حيث أن احتمالية النقل عن تجارب الناس واردة، لكن إطلاق ذلك لا يستقيم فقد وجد في كثير من الأحاديث الواردة عن النبي ﷺ في باب الطب قرائن تدل على أنها وحي، فلا أحد يشك مثلاً أن حديث: «مَا أَنْزَلَ اللَّهُ دَاءً إِلَّا أَنْزَلَ لَهُ شِفَاءً»²، هو من أحاديث أمور الدنيا والطب، ولا أحد يرتاب أيضاً أنه هذا الكلام مستمد من الوحي، فإنه قطعاً كلام عن أمر مغيب، ومعناه أنه ما من داء يوجد في هذه الدنيا إلا وينزل الله سبحانه وتعالى شفاءً ويوجد له دواء إلا الهرم، وهذا من شأنه أن يفتح للناس آفاقاً في البحث عن الأدوية والأشفياء لما يصيبهم من الأمراض والأدواء، ولا ينقطعوا ويعجزوا فيقولوا إن هناك مرضاً ليس له دواء ولا شفاء، فمثل هذا الحديث صريح في أنه من الوحي؛ وإذا تقرر في علوم الحديث أن ما نقل عن الصحابي فيما لا يقال بالرأي كالأمر الغيبية يحكم له بالرفع فكيف بما نقل عن الصادق المصدوق نفسه ﷺ، لأن العلة في نسبة ما ورد عن الصحابي مما لا يقال بالرأي إلى النبي ﷺ، هي كون ذلك المنقول لا يمكن معرفته إلا من طريق الوحي.

ولا ريب أن القائلين بنفي الوحي عن أحاديث الطب يستثنون مثل هاته الأحاديث لو وقفوا عليها، لكن القصد هنا أن نبين ابتداءً خطأ إطلاق القول بنفي الوحي والعصمة عن أحاديث الطب. ومن تقارير القاضي عياض رحمه الله قوله: "وَقَدْ تَوَاتَرَ بِالنُّقْلِ عَنْهُ ﷺ مِنَ الْمَعْرِفَةِ بِأُمُورِ الدُّنْيَا وَدَقَائِقِ مَصَالِحِهَا وَسِيَاسَةِ فِرْقِ أَهْلِهَا مَا هُوَ مُعْجَزٌ فِي الْبَشَرِ مِمَّا قَدْ نَهْنَاهُ عَلَيْهِ فِي بَابِ مُعْجَزَاتِهِ مِنْ هَذَا الْكِتَابِ"³، يعني كتابه الشفا.

1 أي أنها كما ذكر أنفاً من قبيل ما تناقله الناس من تجارب الطب والعلاج مما هو شائع مستفيض مجرب، ولم أقف على مثال في ذلك، إلا إن قلنا إن قوله صلى الله عليه وسلم بأس بالرقى ما لم تكن شركاً، أنه من السنة التقريرية، فيجيب عن ذلك أن أصل محل النزاع هو ما ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم من أقوال وأفعال في باب الطب، والله أعلم.

2 أخرجه البخاري في "صحيحه" (7 / 122) برقم: (5678)، وغيره.

3 أبو الفضل القاضي عياض بن موسى اليعصبى، الشفا بتعريف حقوق المصطفى وحاشية الشمني، ج 2 ص 185.

بل نحن نعتقد أنه ورد عنه ﷺ في هذا الباب باب الطب وغيره من أمور الدنيا ما هو آية على نبوته، يعجز عنه غيره من البشر ممن لم يؤت النبوة.

ودونك بعض الأحاديث التي تؤكد هذا المعنى في المطلب الآتي.

2.4. نماذج لأحاديث الطب النبوي المعجزة والسابقة للعلم التجريبي.

مما لا يرتاب فيه مسلم معظم للنبي ﷺ أنه لا يليق أن يقدم في الأصل على كلامه أحد من الناس ويعارض به، فإنه ﷺ الصادق المصدوق الأمين، الذي لا ينطق عن هوى، أو من ردة فعل غضبية أو غير ذلك مما يعتري من لم يؤت النبوة ويؤيد من رب العالمين، أمّا ما استثنى مما تعرضنا لذكره ومناقشته في هذا البحث فإنه تحتف به قرائن تدل على أنه من رأيه المحض واجتهاده البشري الذي قد يتساوى فيه مع غيره من الناس، أو يكون غيره أولى بالمعرفة به منه، مما لا يحيط من مقداره ﷺ عدم العلم به، كالزراعة والصناعة وسائر علوم الناس ومعارفهم، لكن مع ذلك لم يكن النبي ﷺ يخوض فيما لا يحسنه ولا حُفظ عنه شيء من ذلك، فلم يكن ﷺ من المتكلفين، وإذا تكلم فهو المؤيد المسدّد ﷺ، هذا هو الأصل، ولا يمكن أن يقرّه ربه سبحانه وتعالى على ما ليس بحق، أو خلاف الواقع، مما يخبر به مما يترتب عليه ضرر، فهذا لا يليق بمقام العصمة¹، فكيف إذا كان إخباره عن أمر مغيب زمن تكلمه، وهو ما ينطبق على كثير من أحاديث الطب التي سنذكر نماذج لها.

وسيتبين للمستقريء لأحاديث الطب النبوي أنها وردت في زمن من المستحيل أن يهتدي مخلوق للأسرار التي وردت فيها، من منافع بعض الأشياء، أو مضرتها، أو القطع بأنها فيها شفاء مطلقاً، أو لبعض الأمراض بعينها، فمن الذي أعطى نبينا محمداً ﷺ ضماناً أنه لن تأتي الأيام والليالي بتخطئته فضلاً عن تكذيبه؟! ولو نسبياً، كأن يظهر أن في بعض ما دلّ عليه من الأشفية ضرراً، أو نحو ذلك مما يُعترض عليه به، فكل هذا لم يكن، وإن صدر من بعض المتسرعين توقع ذلك فسرعان ما يجد من هو أعلم منه يردّ عليه، فسبحان من أيّد نبيه ﷺ بدلائل النبوة، فهو ﷺ الصادق المصدوق.

وفي هذا المقام ما أحسن قول القاضي عياض رحمه الله حيث قال: "هذا ولسنا نستظهر على قول النبي ﷺ بأن تصدّقه الأطباء بل لو كذبوه لكذبناهم وكفّرناهم² وصدّقناه ﷺ"³.

وهاهنا تنبيه هام في التعامل مع الوارد عن النبي ﷺ في هذا الباب، وهو الاحتراز منه التسرع في الحكم لكل ما ورد عن النبي ﷺ في باب الطب بأنه معجز، أو حملة على معاني يجتهد في حمل النص عليها بعض

1 ويستثنى من ذلك ما أشار إليه النبي صلى الله عليه وسلم مما قد يخفى عنه وفيه حكمة وابتلاء مثل احتمال قضائه صلى الله عليه وسلم للمتخاصمين بخلاف الحق مما يخفى عنه، ومثله سهوه في الصلاة وجبره لها بالسجود أو باعتبار الظن الغالب ونحوه، مع أن الله سبحانه وتعالى قادر على أن يوحى إليه بالصواب، فإن في خفاء ذلك حكمة أرادها الله ﷻ. وانظر: محمد أنس سرميني، اتجاهات الدرس الأكاديمي المعاصر في الإعجاز الطبي في السنة النبوية: دراسة نقدية، ص 9.

2 لا ريب أن تكذيب النبي صلى الله عليه وسلم مطلقاً كفر، أما إن كان يعني بكلامه رحمه الله من ردّ حديثاً من أحاديث الطب الواردة عن النبي صلى الله عليه وسلم فيحمل على من ردّ حديثه صلى الله عليه وسلم فيمينا تيقن أنه مما أوحاه الله سبحانه وتعالى إليه، وإلا فإن من أهل العلم كما هو مقرر في هذا البحث من جعل أحاديث الطب من أمور الدنيا التي قال فيها ﷺ: «أنتم أعلم بشؤون دنياكم»، فهي ترجع لعلم الطب وما تظهره التجارب، ولا ريب أن رد كلامه صلى الله عليه وسلم الثابت عنه في أي باب منافٍ للأدب ولا يجرؤ عليه من وقر تعظيم النبي صلى الله عليه وسلم في قلبه، إلا ما علم ضعفه وعدم صحته، أو تأوّل على تأويل سائغ، أو نحو ذلك من الأعذار.

3 عياض بن موسى اليحصبي السبتي، إكمال المعلم بفوائد مسلم، ج 7 ص 115.

من ينظر فيه ويزعم مطابقته لحقيقة معينة توصل إليها العلم التجريبي، فقد يكون النص غير ثابت، أو أنه غير مطابق لتلك الحقيقة، وقد تكون النتيجة المتوصل إليها تجريبياً غير قطعية فضلاً عن أنها قد تكون غير صحيحة.

ومما ينكر على بعض المستعجلين حشر بعض المنقول عن النبي ﷺ مما فعله أو أقره في هذا الباب، ثم يبني عليه نتائج ضمن باب الإعجاز، وعند التأمل تجد الأمر فيه تكلف وتنطع وبعث، كمن أورد في الباب واقعة مداواة فاطمة ؓ للنبي ﷺ يوم أحد بوضع قطعة من حصير محروق على جرحه حتى توقف الدم¹ ونحوه من الأحاديث التي ينبغي أن تفهم بما يناسب سياقها والظروف التي وردت فيها، فإن معالجة الجرح بهذا الأمر ليس هو من فعل الرسول ﷺ ولا من توجيهه، وإن كان قد أقره لكنه ورد في ظرف يمكن حمله على الضرورة لا أنه علاج يعتمد إليه أصالة ويعدل عن كثير من الوسائل التي تضمد بها الجراح مما هو أنفع وأنجع، فكيف وقد أحدث الناس وسائل ومواد أقدرهم الله سبحانه وتعالى عليها في هذا الزمان مما هو بيقين أفضل مما كان في الأزمنة السابقة.

لذا فإن من مما ينبغي أن تصرف الجهود في إبرازه من الوارد عن النبي ﷺ في هذا الباب إنما هو الذي ينطبق عليه وصف دلائل النبوة مما دلَّ عليه النبي ﷺ أو أقره من الأمور الطبية النافعة التي لم يكن في مقدور البشر آنذاك الكشف عن منفعتها، حتى وإن كانوا عرفوا منفعتها بالتجربة والممارسة المستمرة، فإن وجه الإعجاز وصفة دلائل النبوة تتجلى بالنظرة الشاملة للطب المنسوب إلى النبي ﷺ وأنه لم يرد فيه ما يثبت العلم ضرره، وما صححه أو أقره من الطب السائد آنذاك ينسب إليه من جهة أنه حكم عليه بالخطأ أو الصواب، فالعلاج بأبوال وألبان الإبل حتى وإن كان محتملاً استشفاء الناس به فيما سبق لكنه أقر ما فيه من نفع يوم كان لا يعلم أحدٌ بحقيقته الخفية إلا في زمننا، فالحجة في أنه لم يرد عنه ﷺ ما يمكن لأحد أن يثبت مضرته.

ومن الخطأ الفادح دعوى في دعوى أن شيئاً من الطب النبوي فيه ضررٌ بناءً على ممارسات المتسرعين والمتحمسين المُقَرِّطين في ضوابط باب الطب، فإن أخطاءهم لا تنسب إلى الطب النبوي، ولا تحكَّم عليه، لأن النبي ﷺ دلَّ على منافع في الطب كثيرٌ منها ورد مجملاً يفتقر إلى المعرفة بالطب، فإنه هو ﷺ الذي أخبر مثلاً بمنافع الحبة السوداء والعسل والسنا والسنوت والحجامة وغيرها هو نفسه الذي أمر بالرجوع إلى أهل المعرفة بالطب، وحذَّر من التطبُّب لمن ليس أهلاً.

وسأسوق جملة من الأحاديث المعجزة في الطب، مما ظهرت أنوار النبوة فيه، ومن المناسب بين يدي ذكر الأحاديث المختارة أن نذكر تعريفاً جامعاً للإعجاز، فأجمع ما ذكر فيه أنه: تأكيد الكشف الحديث

1 والحديث متفق عليه.

الثابتة والمستقرة للحقائق الطبية الواردة في السنة النبوية، فالضابط المذكور فيه يشمل كل ما نقل عن النبي ﷺ في باب الطب مما يؤكد العلم صدقه¹.

الحديث الأول: عن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: «جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: إن أخي استطلق بطنه! فقال رسول الله ﷺ: اسقه عسلاً، فسقه، ثم جاءه فقال: إنني سقيته عسلاً فلم يزد إلا استطلاقاً! فقال له ثلاث مرّات، ثم جاءه الرابعة فقال: اسقه عسلاً، فقال: لقد سقيته فلم يزد إلا استطلاقاً! فقال رسول الله ﷺ: صدق الله وكذب بطن أخيك! فسقه فبرأ»².

وليس لقائل أن يقول إن هذه الوصفة إنما ورد بها القرآن، فإن الشاهد هنا ليس في كونه ﷺ دل أن في العسل شفاء، إنما الشاهد في وصف النبي ﷺ للعسل في هذا الداء بعينه، فمن المعلوم في الطب أن الأدوية لا يكتفى في استعمالها بمعرفة أن فيها منفعة، بل لابد من معرفة أنها مناسبة لهذا الداء بعينه، ثم قد تكون نافعة لنوع من هذا المرض دون نوع، ثم معرفة صفة العلاج التي تنعت لذلك الداء، ونحو ذلك، فالنبي ﷺ ما كان ليصف لمريض شيئاً من قبل نفسه، فضلاً عن أن يكرر عليه ويؤكد استعماله مرة بعد مرة فكيف وهو يراه يزداد سوءاً فيما يظهر؟!، فكيف وقد قال للسائل: صدق الله وكذب بطن أخيك؟!.

بل إننا نقول إن هذا الحديث ونظائره مما ورد في منافع العسل إنما هو بيان لما ورد في كتاب الله سبحانه وتعالى في قوله تعالى: ﴿يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ﴾ [النحل: 69]، فإن النبي ﷺ مبين لما أجمل في كتاب الله سبحانه وتعالى.

فإن هذا الحديث ورد في إثبات نجاعة العسل في حالة استطلاق البطن، فإنه قد ورد ما هو أعم منه، وهو ما يؤكد أن العسل هو ضمن الأسفوية التي تدخل في علاج أمراض وأدواء متعددة.

ويؤكد هذا المعنى الحديث الآتي:

الحديث الثاني: عن ابن عباس ﷺ قال: «الشِّفَاءُ فِي ثَلَاثَةِ شَرِبَةِ عَسَلٍ، وَشَرِبَةِ مَحْجَمٍ، وَكَيْةِ نَارٍ، وَأَنْهَى أُمَّتِي عَنِ الْكَيِّ»³.

وهذا الحديث ليس فيه فقط دليل على أنه من الوحي، بل هو من دلائل نبوته ﷺ، فلقد ثبت في تجارب الناس اليوم أن هاته الثلاثة من أصول الطب.

فالعسل فيه شفاء لكثير من الأدوية، ولا عجب، فواقع الطب الحديث لم يزد هاته الحقيقة إلا تأكيداً، فإنه يُستخدم لعلاج مجموعة واسعة من الأمراض والعلل والإصابات، فينفع بإذن الله في أعراض الكبد والقلب والأوعية الدموية والجهاز الهضمي، والتئام الجروح والحروق والإسهال، ويمنع حموضة المعدة، والالتهابات، وينفع في أعراض البرد والسعال، وأمراض الجهاز التنفسي، وأمراض الصدر عموماً،

1 انظر: محمد أنس سرميني، اتجاهات الدرس الأكاديمي المعاصر في الإعجاز الطبي في السنة النبوية: دراسة نقدية، ص: 10.

2 متفق عليه.

3 أخرجه البخاري في "صحيحه" (122 / 7) برقم: (5680)، (123 / 7) برقم: (5681)، وغيره.

والإرهاق والدَّوار، وبعض السرطانات، وثبتت نجاعته في نجاح عمليَّات زراعة الجلد، ومرض الحصبة، والعجز الجنسي، وغيرها كثير¹.

فهل بعد هاته الحقائق الطبية، والكم الهائل من الأمراض التي يدخل العسل في علاجها يستغرب من الأحاديث الواردة في السنة النبوية التي تبين أنه أصلٌ من أصول الأشفية؟!، أو أن يتردد في أنه من علم الله الذي علمه نبيه ﷺ الذي بعثه رحمة للعالمين.

أما الحجامة فالكلام عنها يحتاج أسفاراً، لذا صح عنه ﷺ أن الملائكة أوصوه بها ليلة المعراج، وكان من هديه ﷺ الاحتجام والحث على ذلك، وكيفيك لتدرك أهميتها في الطب وقاية وعلاج أن تعلم أن مراكز الحجامة بدأت في التزايد في عصرنا هذا بعد أن كانت محل انتقاد في الأمس القريب، فأبى الله سبحانه وتعالى إلا أن يظهر للناس محاسنها ومنفعتيها، وأن نبيه ﷺ قد أتى للناس بخيري الدنيا والآخرة، ولكن أكثر الناس يستعجلون.

والكي قد عولج به كثيرٌ من الأدوية التي استعصت على الأطباء، فصلى الله على نبيه الكريم ورسوله الأمين.

ومن القرائن التي تقوي كونه من الوحي، أنه ﷺ نهى عن الكي، بعد أن بين أنه فيه شفاءً، فلو لم يكن مما يتيقن ﷺ نفعه لما أظهره هنا، ومعلوم أن الشفاء إنما هو من الله سبحانه وتعالى. بل إننا نقول كل حديث ورد فيه ذكر الشفاء في شيء من الأشياء فهي قرينة على أنه مستمد من الوحي، لأن الشفاء إنما هو من الله سبحانه وتعالى.

الحديث الثالث: عن أبي هريرة ؓ أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «إِنَّ فِي الْحَبَّةِ السَّوْدَاءِ شِفَاءً مِنْ كُلِّ دَاءٍ إِلَّا السَّامَ»، وَالسَّامُ الْمَوْتُ، وَالْحَبَّةُ السَّوْدَاءُ الشُّونِيزُ².

وهذا الحديث ظاهر في أنه يخبر ﷺ عن أمر قطعي لا يجزم به إلا بعلم يقيني من لدن حكيم عليم، وهي أن في الحبة السوداء أشفية لكل الأدوية، وليس في مقدور أحد من البشر أن يحيط بهذا الأمر، فإن الأدوية التي ينزلها الله سبحانه وتعالى أكثر من أن يحصيها مخلوق، بله أن يعرف أن في هاته الحبة شفاء لجميعها!.

وإن كان بعض شراح الحديث حملوا الحديث على العموم الذي يراد به الخصوص، ومن ذلك ما ذكره الخطابي رحمه الله حيث قال: "وهذا من عموم اللفظ الذي يراد به الخصوص؛ إذ ليس يجتمع في طبع شيء من النبات والشجر جميع القوى التي تقابل الطبائع كلها في معالجة الأدوية على اختلافها وتباين طبائعها"³.

1 بتصرف من موقع الطبي.

2 متفق عليه، وقوله: السام الموت والحبة السوداء الشونيز من كلام الزهري كما جاء مصرحاً به عند البخاري برقم: (5688).

3 أبو سليمان حمد بن محمد الخطابي، أعلام الحديث (شرح صحيح البخاري): (2112/3).

قلت: لكن يعترض عليه بالاستثناء في قوله ﷺ: «إلا السام يعني الموت، فهو دالٌّ على العموم فيشمل كل الأدوية سوى ما استثنى والله أعلم، خاصة أنه ورد في لفظ عند مسلم: «مَا مِنْ دَاءٍ إِلَّا فِي الْحَبَّةِ السَّوْدَاءِ مِنْهُ شِفَاءٌ، إِلَّا السَّامُ»¹، وهو صريح في العموم.

والله سبحانه وتعالى قادرٌ على أن يجمع في هاته الحبة أسرار الشفاء لكل الأدوية عرف ذلك من عرفه وجهله من جهله، ويبقى الخفاء في طريقة التداوي بها في كل داء بصفة يعرفها أهل الطب، فقد تستعمل مفردة أو مركبة، وقد يتناولها المريض أكلاً أو شرباً، أو سعوطة، وقد يكون الادهان بها وتبخيرها، أو تكون مسحوقة، أو ينتفع ببعض أجزائها دون بعض².

قال ابن بطال رحمه الله: "فقد يكون من الأمراض ما يصلح للمريض شربها أيضاً ويكون منها ما يصلح خلطها ببعض الأدوية، فيعم الانتفاع بها منفردة ومجموعة مع غيرها، والله أعلم"³.

فالنبي ﷺ جاء بأفضل هدي وأحسن تعليم، فدلَّ على وجود الدواء مجملاً في بعض الأشياء، وأرجع ذلك لمعرفة الناس واكتشافهم، وقال: «تَدَاوُوا فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَمْ يَضَعْ دَاءً إِلَّا وَضَعَ لَهُ دَوَاءً غَيْرَ دَاءٍ وَاحِدٍ الْهَرَمُ»⁴، وحذّر ﷺ من تعاطي الطب ممن ليس له بأهل فقال: «مَنْ تَطَبَّبَ وَلَا يُعْلَمُ مِنْهُ طِبٌّ فَهُوَ ضَامِنٌ»⁵، ومع ذلك لم يخل هديه من توصيف بعض العلاجات التي ظهر للناس بعد ذلك عظيم نفعها.

وهاته بعض منافع الحبة السوداء:

في بحث للدكتور عبد الله باموسى أكد فيه أن البحوث عن الحبة السوداء في العقود الأخيرة في ازدياد مستمر، وما ذلك إلا بسبب الاكتشافات المبهرة لكثرة منافعها وقاية وعلاجاً للأمراض المستعصية، وذكر أنه لم يقف فيما وقف عليه عن مادة اجتمع فيها التأثير في هذا العدد الكبير من الأمراض التي استعملت الحبة السوداء في علاجها من خلال البحوث التي وقف عليها، وذكر أن موقع: Medline، قد تناول الكلام عنها في عدة بحوث، وهذا يعد مؤشراً قوياً على أهميتها.

1 مسلم في "صحيحه" (25 / 7) برقم: (2215).

2 انظر: أحمد بن علي بن حجر، فتح الباري في شرح صحيح البخاري، ج 10 ص 144..

ومن الخطأ الفاحش الذي يقع فيه بعض من يتعامل مع مثل هذا الحديث، الاستعمال المتعسف لهاته الأدوية والأشفياء التي دل عليها النبي ﷺ، كالخبر الذي ذكره الذهبي رحمه الله عن صالح جزرة، فكان الأطباء يختلفون إليه، فلما أعياه الأمر، أخذ العسل والشونيز، فزادت حماه، فدخلوا عليه وهو يرتعد ويقول: بأبي أنت يا رسول الله، ما كان أقل بصرك بالطب! قال الذهبي معلقاً: هذا مزاح لا يجوز مع سيد الخلق، بل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أعلم الناس بالطب النبوي، الذي ثبت أنه قاله على الوجه الذي قصده، فإنه قاله بوحى: «فإن الله لم ينزل داء، إلا وأنزل له دواء»، فعلم رسوله ما أخبر الأمة به، ولعل صالحاً قال هذه الكلمة من الهجر في حال غلبة الرعدة، فما وعى ما يقول، أو لعله تاب منها، والله يعفو عنه". انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج 14 ص 28.

3 أبو الحسن علي بن خلف المعروف بابن بطال، شرح صحيح البخاري: (397 / 9).

4 أخرجه أبو داود في "سننه" (1 / 4) برقم: (3855) والترمذي في "جامعه" (3 / 561) برقم: (2038) وابن ماجه في "سننه" (3 / 681) برقم: (2672)، (4 / 497) برقم: (3436)، وغيرهم.

5 مضى في ص: 17.

وذكر أن من المجالات العلاجية التي رصد دخول هاته الحبة في علاجها: السرطان، الالتهابات وتسكين الآلام، جهاز المناعة، مقاومة الميكروبات، مقاومة الديدان، الآثار الجانبية للمواد السمية، حماية الكبد، السكري، مجال أمراض الدم (تخثر الدم، الكريات الحمراء والبيضاء)، والجهاز الدوري وضغط الدم، نسبة الدهون في الدم، حماية المعدة من القرحة، الجهاز التنفسي (الربو...)، وغيرها.

وخلص بعد استقراء ومسح لتلك البحوث أن لهاته الحبة آثارا إيجابية كثيرة وقدرة عالية في التأثير على مختلف الأمراض المستعصية، كما أن لديها قدرة عالية بإذن الله على الوقاية والحماية من أسباب تلك الأمراض¹.

فمن دلّ محمد ﷺ على هاته الحقيقة العلمية العظيمة التي اختصرها في كلمات معدودة، ليأتي الطب الحديث فيشرحها في بحوث يصعب حصرها؟!.

الحديث الرابع: عن أنس رضي الله عنه: «أَنَّ نَاسًا مِنْ عُرَيْنَةِ قَدِمُوا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الْمَدِينَةَ فَاجْتَوَوْهَا، فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: إِنْ شِئْتُمْ أَنْ تَخْرُجُوا إِلَى إِبِلِ الصَّدَقَةِ فَتَشْرَبُوا مِنْ أَلْبَانِهَا وَأَبْوَالِهَا، فَقَعَلُوا فَصَحُّوا»². وفي لفظ: فَاسْتَوْخَمُوا الْأَرْضَ وَسَقِمَتْ أَجْسَامُهُمْ، فَقَالَ لَهُمْ ﷺ: «أَلَا تَخْرُجُونَ مَعَ رَاعِينَا فِي إِبِلِهِ، فَتَصِيبُونَ مِنْ أَبْوَالِهَا وَأَلْبَانِهَا؟ فَقَالُوا: بَلَى، فَخَرَجُوا فَشَرَبُوا مِنْ أَبْوَالِهَا وَأَلْبَانِهَا فَصَحُّوا»³.

وقد وقفت على وقائع كثيرة ثابتة لأشخاص من الله سبحانه وتعالى عليهم بالشفاء والتعافي بأبوال وألبان الإبل من أمراض تعد اليوم مستعصية على طرق العلاج العصرية، لكن يسر الله سبحانه وتعالى شفاءها بقدرته وبركة دلالة نبيه ﷺ على هذا الدواء العجيب، خاصة للأمراض الباطنية.

ومما ثبت عنه ﷺ أيضا في الباب حديث ابن عباس رضي الله عنهما: «إِنَّ فِي أَبْوَالِ الْإِبِلِ وَأَلْبَانِهَا شِفَاءً لِلدَّرِيَةِ بِطُونُهُمْ»⁴.

ومعنى الدرية بطونهم، ما يلحق المعدة من فساد حتى لا يثبت في الطعام ولا تنتفع به⁵. وقد ثبت في تجارب العلم في الطب الحديث نجاعة حليب الإبل وأبوالها في علاج كثير من الأمراض الباطنية، وعلاج عدة أنواع من السرطان المرض الفتاك⁶، وقد أبدعت الدكتورة فاتن خورشيد الباحثة

1 انظر بحث الدكتور عبد الله باموسى، بعنوان: الحبة السوداء في الحديث النبوي والطب الحديث.

2 متفق عليه.

3 متفق عليه.

4 أخرجه أحمد في "مسنده" (2 / 649) برقم: (2721)، وغيره، وفي سنده مقال، وانظر: تومي نور الدين، الإعجاز العلمي والغيبي في السنة النبوية وأثرهما في إثبات وحياة السنة ص 51 هامش.

5 مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، ج 2 ص 156، وانظر: أبو القاسم محمود بن عمرو الزمخشري جار الله، الفائق في غريب الحديث، ج 1 ص 450.

6 ذكرت الدكتورة خورشيد من الأنواع: سرطان الرئة، والكبد، والثدي، والجلد، القولون، الدماغ. انظر محاضرة لها بعنوان: لقاء ثلوثية التوجيه مع الدكتورة فاتن خورشيد بعنوان علاج الأورام وأمراض الكبد والجلد بأبوال الإبل.

السعودية في إظهار أبعاد العلاج النبوي في عصرنا حيث أثبتت بأبحاثها مع فريقها علاج كثير من الأمراض الفتاكة سواء الأمراض الظاهرية الجلدية أو الباطنية بأبوال الإبل¹.

ومن الحالات الموثقة في ذلك رجل عوفي من مرض تليف الكبد وقصته موثقة، وقد أجمع الأطباء الذين اطلعوا على حالته أنه ليس له علاج إلا بزراعة الكبد، لكن عند تناوله لأول جرعة من أبوال وألبان الإبل، ظهرت نتائج مبهرة في تحاليله، حيث سجل انخفاض نسبة المادة الصفراء لديه، وهذا يعد علامة على بداية حصول التعافي، وما هي إلا جرعات معدودة بعد ذلك حتى حصل له الشفاء التام بقدرة الله العظيم الكريم².

وما زلنا بحمد الله في قبيلتنا نتعاطى هذا العلاج ويصفه كبارنا لعدة أمراض خارجية وباطنية، ونجد له آثاراً إيجابية، وانتفاعاً لا ينكره إلا من ينكر المحسوسات، فجزى الله عنا نبينا ﷺ خيراً. فمن أين للنبي ﷺ أن يهتدي لكل هاته الحقائق الدقيقة الخفية عن البشر مما خبيء في خلق الله من هاته المنافع لولا النبوة، التي تميز بها عن غيره من الخلق.

الحديث الخامس: عن أنس رضي الله عنه قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «شِفَاءُ عِرْقِ النَّسَا أَلْيَهُ شَاءَ أَعْرَابِيَّةٍ، تُدَابُ ثُمَّ تُجَزَّأُ ثَلَاثَةً أَجْزَاءً، ثُمَّ يُشْرَبُ عَلَى الرِّيقِ فِي كُلِّ يَوْمٍ جُزْءٌ»³. وقد ورد في بعض طرق الحديث عن أنس بن سيرين الراوي: «فَلَقَدْ أَمَرْتُ بِذَلِكَ نَاسًا ذَكَرَ عَدَدًا كَثِيرًا، كُلُّهُمْ يَرَأُ بِإِذْنِ اللَّهِ تَعَالَى»⁴.

ووصف هذا المرض بأنه: "وجع يبتدئ من مفصل الورك، وينزل من خلف على الفخذ، وربما على الكعب، وكلما طالت مدته، زاد نزوله، وتهزل معه الرجل والفخذ"⁵. ومن أهل العلم من جعل هذا الدواء مناسباً لبعض الناس دون آخرين⁶.

أما عن التجارب المعاصرة، فقد ثبتت نجاعة هذه الوصفة النبوية، فدونكم هذه الشهادة من مختص في هذا المجال، وهو الدكتور زهير بن رابح قرامي، طبيب متخصص في مجال أمراض الروماتويد

1 د. فانت خورشيد، لقاء ثلوثية التوجيهي.

2 انظر توثيق هذه الحالة لصاحبها، في موقع اليوتوب بعنوان: قصة شفاء بلا أطباء بودكاست.

3 أخرجه ابن ماجه في "سننه" (4 / 517) برقم: (3463) وأحمد في "مسنده" (5 / 2810) برقم: (13499)، (9 / 4810) برقم: (21073)، (9 / 4810) برقم: (21074)، وغيرهم.

4 رواه الحاكم في "مستدرکه" (2 / 292) برقم: (3171).

5 محمد بن أبي بكر شمس الدين ابن قيم الجوزية، الطب النبوي، ص55.

6 المصدر السابق، ص55، وانظر أيضاً: زين الدين عبد الرؤوف بن تاج العارفين الحدادي المناوي، «التيسير بشرح الجامع الصغير» (2 / 78)، (78)، وهذا فيه إشارة إلى قضية مهمة في الطب، وهي أن الأدوية قد تختلف للداء الواحد، فما يناسب قوما لا يناسب آخرين، لذلك ثبت في السنة أن يعقوب عليه السلام تعالج بألبان الإبل، فقد ورد في حديث ابن عباس رضي الله عنهما في أسئلة اليهود للنبي ﷺ: «قَالُوا: أَخْبِرْنَا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ؟ قَالَ: "كَانَ يَشْتَكِي عِرْقَ النَّسَا، فَلَمْ يَجِدْ شَيْئًا يُلَاقِيهِ إِلَّا أَلْبَانُ كَذَا وَكَذَا قَالَ أَبِي: " قَالَ بَعْضُهُمْ: يَعْنِي الْإِبِلَ فَحَرَّمَ لُحُومَهَا " قَالُوا: صَدَقْتَ» أخرجه الإمام أحمد وحسنه محققوه. «مسند أحمد» (4 / 285).

والروماتيزم وهو يعمل حالياً في مستشفى خاص رئيساً لقسم العلاج الطبيعي – وقد قام بمعالجة بعض من ابتلى بعرق النسا، حيث طبق هاته الوصفة التي أرشد إليها الرسول ﷺ وأفضى إلى نتائج طيبة؛ وأنجز بحثاً بعنوان "علاج عرق النسا بألية شاة أعرابية" ذكر فيه الطريقة الصحيحة للاستشفاء بهاته الوصفة النبوية، وبين أن ألية الشاة الأعرابية تحتوي على مجموعة من الدهون منها نوع مفيد جداً في هذا المجال، ونبه أن للدهون نوعان معروفان في أمراض القلب مثلاً: نوع مفيد وهو HDL ذو الكثافة العالية ونوع ضار LDL ذو الكثافة المتدنية، والحكم بأن الدهون مطلقاً ضارة أمر لم يعد أمراً مسلماً به علمياً.

وقال جزاه الله خيراً بعد هذا الجهد المشكور: "إن هذا البحث فيه نموذج للإعجاز العلمي؛ وذلك لأن من المعروف للقاصي والداني أن بيئة الجزيرة العربية كانت تكتسي على العموم رداء الغفلة عن العلم، كما أن مجتمع مكة المكرمة كان مجتمعاً آمياً. ثم إن رسول الله ﷺ كان بعيداً كل البعد عن ساحات الخبرة العلمية؛ لذلك فإن ورود إرشاد طبي بصيغة الحكم الجازم وبدون تردد في قضية تحتاج في تشخيصها إلى أدوات دقيقة كانت منعدمة في زمن تنزيل القرآن الكريم؛ كل ذلك يقوم شاهداً على أن مصدر هذا الإرشاد هو الخالق لهذا الكون، وأن هذا الإرشاد يمثل علماً من أعلام صدق نبوة محمد ﷺ".¹

الحديث السادس: عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «مَنْ أَكَلَ سَبْعَ تَمَرَاتٍ مِمَّا بَيْنَ لَا بَتَمَّهَا حِينَ يُصْبِحُ، لَمْ يَضُرَّهُ سُمْ حَتَّى يُمِيتِي» وفي لفظ: «سُمْ وَلَا سِحْرٌ».²

وقد وردت أحاديث أخرى تبين منافع التمر عموماً وتبين فضل تمر المدينة والعجوة منها خاصة، وقد جاء العلم الحديث يظهر من منافع التمر وعظيم أثره في الوقاية من السموم والسحر، وهذا إن دلّ فإنما يدل على أن النبي ﷺ إنما تلقى ذلك من علم الله سبحانه وتعالى الذي خصه به في تلك الحقبة التي لم يكن في مقدور أحدٍ من الناس أن يصل إلى مكونات التمر التي لديها خصائص الوقاية من السم والسحر، وهذه خلاصة بعض البحوث المعاصرة التي أظهرت هذه الحقيقة الطبية العظيمة:

فمن تلك الدراسات الحديثة: بحث محكم بعنوان: "دراسة تأثير خلاصة التمر على إبطال مفعول سمّ الحية والعقرب" نشر في مجلة علمية صادرة عن جامعة كامبريدج البريطانية، وطبقت تجربته على أربعة أشخاص حيث تم إعطاء كل واحد منهم حوالي عشرة تمرات من أردأ أنواع التمور في الأردن، فظهر بعد فحص عينات من دمائهم أنه كان مقاوماً لسم الأفاعي!..

وتحصلت جامعة قابوس العُمانية، على براءة اختراع من المكتب الأمريكي لبراءات الاختراع، عن اكتشاف اثنين من أطبائها لدواء مُستخلص من تمر العجوة، يحيي المصاب من أخطر لدغات الأفاعي في دقائق معدودة!.

1 انظر: عبد الله بن عبد العزيز المصلح، قواعد تناول الإعجاز العلمي والطبي في السنة وضوابطه، ص 14.

2 متفق عليه.

دراسةً حديثةً نشرتها المجلة العلمية البريطانية: **The conversation**، قام فيها بعض الباحثين بوضع مُستحلب التمر في ماءٍ به كمية من سُمّ (الدِّيوكسينات)، فتفاجأوا باختفاء هذه المادة السُّميّة في غضون دقيقة واحدة!، وقد استنتجوا أن للتمر تأثير بالغ في دفع مضرة السموم وخلصوا إلى قولهم: نخيل التمر أكثر فوائد مما كان أجدادنا يتصورونه!

ودراسة أخرى قام فريق بحث بريطاني بتجربة أظهروا فيها ما يحدثه التمر¹ في العملية المناعية للكبد ضدّ السُّموم، وخلاصة تجربتهم: أنهم أطعموا فيها أشخاصاً سبع تمرات كل يوم لمدة شهر، فاكتشفوا أن هناك استغناءً بالإنزيم الذي ينتجه الكبد عند دخول السموم للبدن، حيث أن معدل ذلك الإنزيم كان كافياً لديهم للوقاية والمناعة من أثر السموم بسبب تناولهم للتمر فلم تزد نسبته عند التعرض للسموم. ولقد أكدت هذه الدراسة جمعياً بريطانية تدعى "telepathy"، حيث أخذت عيناتٍ دمٍ من أناسٍ يتعرّضون لتسمم مستمر لأسباب صناعية أو تلوث في الهواء فوجدوا أن المتطوعين حين تناولوا سبع تمراتٍ كلّ يومٍ على الرّيق، قلّت نسبة السُّموم جدّاً في أجسامهم، وقد نشرت هذه الجمعية البريطانية هذا البحث في مجلّتها الدّوريّة "Telepathy"، وذكرت فيه رصد أجهزة الاستشعار لخطّ طيّفٍ مُلتفٍّ على الجسم تشكّل بعد هضم التمرات، وأنّ هذه الهالة تستمرّ يوماً كاملاً، كما ورد في الحديث تماماً!²

وأكتفي بما أوردته من هاته النماذج للدلالة على المقصود، وإلا فإن الناظر في السنة النبوية سيجد فيها كثيراً من الأحاديث المعجزة في أمور الدنيا، ومن ذلك باب الطب، كالطب الوقائي في حديث ولوغ الكلب، وحديث جناحي الذباب، وما ورد في العدوى، وغيرها، فصلى الله على من أرسله الله رحمة للعالمين في دنياهم وأخراهم.

وهذه نصيحة ثمينة من بعض الباحثين المنصفين، لكل مولع بالطب الغربي:

"فيجدر بكل أمة أن تستفيد من تراثها العلمي، فتعيد النظر فيه وفي الطرق الشعبية المبنية عليه، ثم تطور النافع منه لصالح الإنسانية وصالح نموها وإثبات شخصيتها ودعم اقتصادها، فكم من جواهر ثمينة في تراثنا أهملناها ونحن في جو من عواطف الشغف بكل جديد، وكم أضرت أدوية جديدة تحمّس العالم، ثم تبين له بعد سنين أن لها أثراً مسرطنة أو مشوهة للجنين أو ضارة بأحد أعضاء أو أجهزة الجسم، فالعلم لا يفرق بين قديم وجديد، وله زيران هما التجارب والاستنتاج الفكري للعالم الخبير النزيه"³.

1 ويطبقوا تجربتهم بتمر العجوة بعد أن وقفوا على تلك الأحاديث في الباب، أما أولئك الذين أشرنا إليهم من بني جلدتنا فإنهم في وادٍ آخر! فلا الحديث عظموا وفقهوا، ولا العلم التجريبي أتقنوا، فهم مولعون بنقد السنة بدافع نفسي في الغالب.

2 انظر: د. محمد زربوح، المعارضات الفكرية المعاصرة لأحاديث الصحيحين، ج 3 ص 151.

3 الدكتور محمود ناظم النسيبي، المعالجة بالكلي في عهد الرسول ﷺ.

إذا كان هذا اللائق بما يرتبط بالطب الشعبي الموروث عن سائر الناس، فكيف بالطب الموروث عن سيد الناس ﷺ، فحتى لو كان منشؤه من ظنه ﷺ ومن اجتهاده، فإنه ﷺ أرجح الناس عقلاً وأسدهم رأياً، ومحبته وتعظيمه يبعث على العناية بكل ما صدر عنه ﷺ.

5. خاتمة

بعد هذه المناقشة للمسألة، يمكننا الخلوص إلى أن ما يصدر عن النبي ﷺ في أمور الدنيا يتجاذبه احتمالان:

الاحتمال الأول: أنها على الأصل أنها من قبيل الوحي، فإن ما يصدر عنه ﷺ بعد نبوته، داخل في عموم قوله تعالى: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيِي يُوحَى (٤) عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى (٥)﴾ [النجم: 45]، ولم يفرق بين أمور الدين ولا الدنيا.

وقوله: اكتب فوالذي نفسي بيده ما خرج منه إلا حق.

الاحتمال الثاني: أنها صادرة من مقتضى البشرية، لقوله ﷺ: «إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ إِذَا أَمَرْتُكُمْ بِشَيْءٍ مِنْ دِينِكُمْ فَخُذُوا بِهِ، وَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِشَيْءٍ مِنْ رَأْيٍ فَإِنَّمَاءَ أَنَا بَشَرٌ»، وفي رواية: «أَنْتُمْ أَعْلَمُ بِأَمْرِ دُنْيَاكُمْ».

وهاته النصوص الأخيرة ليس فيها نفي الوحي والعصمة عن كل ما يصدر منه في أمور الدنيا، لكن غاية ما يدل عليه الحديث الأول أنه لا يلزمهم الأخذ بالأمور التي يرشد إليها ﷺ في أمور الدنيا، ومن ذلك ما ظهر أنه من قبيل رأيه ﷺ ولم يوح إليه به، والثاني يدل على أن أهل الدنيا أعلم بمصالحهم خاصة من هو متخصص في ذلك الأمر متفرغ له كأهل الزراعة وأهل الصناعة والطب وغيرهم، لكن لا ينفي ذلك بحال أنه قد يوحى إليه شيء من ذلك.

وإن كانت بعض النصوص أومأت إلى حصر عصمته في تبليغ الدين، مع ما تقرر أن باب الطب في الأصل هو من أمور الدنيا التي لا ينقص من قدره الخطأ فيها، لكن ينبغي هاهنا مراعاة أمرين:

الأول: أن من أحاديث الطب ما يتضمن تشريعاً أو إخباراً عن مغيب، فكيف يقال فيه أن من رأيه؟!

الثاني: لا ريب أن النبي ﷺ لا يكثر منه الخطأ والوهم في ذلك لو وجد حتى يكون كالمغفل حشاه، لذلك كانت الأمثلة المنقولة عنه ﷺ في أمور الدنيا مما تبين خطأه فيها محصورة جداً¹.

فليس من اللائق في الكلام عنه ﷺ أن يطلق القول بتسويته بغيره من الناس، كلا بل هو أحذق الناس وأذكاهم وأفطنهم فيما تكلم فيه ودلّ عليه من مصالح الدنيا، أما ما تركه للناس ولم يتكلم فيه فشأنه آخر.

ومن خلال دراسة جملة من الأحاديث النبوية الواردة في الطب، ظهر لي ما يلي:

أولاً: أن الأصل فيما صدر عن النبي ﷺ أنه وحي، دل على عدة نصوص من الكتاب والسنة.

1 كحديث التأبير المشهور.

ثانياً: أن كثيراً من أحاديث الطب ورد فيها من الإعجاز ما يطمئن المطلع عليها أنها صادرة من صفة النبوة لا البشرية.

ثالثاً: أن كثيراً من أحاديث الطب النبوي تتناول أموراً غائبة غيباً كلياً عن الناس كحديث ما أنزل الله داءً إلا أنزل له دواءً، أو جزئياً كالأحاديث التي تناولت أموراً يقطع بخفاءها على الناس زمن البعثة، كحديث غمس الذباب، وحديث الحبة السوداء، وحديث شفاء عرق النسا، ونحوها.

فنخلص من ذلك إلى أن المصادر عنه ﷺ في أمور الدنيا ومنها باب الطب ثلاثة أقسام:

القسم الأول: قد يكون صريحاً أنه من رأيه كحديث تأبير النخل.

القسم الثاني: وقد يكون صريحاً أنه من الوحي، باعتبار القرائن المحتفة به ترجح كونه من الوحي، ومن ذلك الأمثلة التي وقفنا عليها من الأحاديث المعجزة في الطب، مما لا يمكن لبشر أن يهتدي للحقائق التي وردت بها زمن البعثة.

القسم الثالث: وقد يكون يحتمل الأمرين، وهو باقي النصوص في أمور الدنيا، التي ليس فيها قرينة الوحي ولا هي مما ظهر أنها من رأيه ﷺ.

لذلك كان من الخطأ إطلاق نفي صفة الوحي عملاً نقل عن النبي ﷺ في هذا الباب والله أعلم. وما أحسن أن ينبري متخصص في الإعجاز الطبي لجمع واستيعاب أحاديث الطب النبوي الثابتة، ويميز الأحاديث التي وردت بأمور خفية زمن البعثة مما ينفي كونها من العلم البشري، والله وحده الهادي إلى سواء السبيل.

والحمد لله أولاً وآخراً.

6. قائمة المراجع

- ابن بطال أبو الحسن علي بن خلف. (1423 هـ 2003 م). شرح صحيح البخاري. السعودية الرياض: مكتبة الرشد.
- ابن تيمية أحمد بن عبد الحلیم. (1425 هـ 2004 م). مجموع الفتاوى. السعودية المدينة المنورة: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف.
- ابن خلدون عبد الرحمن بن خلدون. (1401 هـ 1981 م). العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر. بيروت: دار الفكر.
- ابن قيم الجوزية شمس الدين محمد بن أبي بكر. (بلا تاريخ). الطب النبوي. بيروت: دار الهلال.
- ابن قيم الجوزية شمس الدين محمد بن أبي بكر. (1440 هـ، 2019 م). زاد المعاد في هدي خير العباد. الرياض، بيروت: دار عطاءات العلم دار ابن حزم.

- ابن ماجة القزويني أبو عبد الله محمد يزيد الرّبيعي مولا هم. (1430هـ 2009م). السنن. دار الرسالة العالمية.
- أبو داود السجستاني سليمان بن الأشعث الأزدي. (1418هـ 1998م). المراسيل. بيروت: مؤسسة الرسالة.
- أحمد بن حنبل الشيباني. (1431هـ 2010م). مسند أحمد. جمعية المكنز الإسلامي دار المنهاج.
- أحمد بن علي بن حجر العسقلاني. (1380هـ 1390هـ). فتح الباري بشرح البخاري. مصر: المكتبة السلفية.
- الأشقر محمد سليمان. (1424هـ 2003م). أفعال الرسول ﷺ ودلالاتها على الأحكام الشرعية. بيروت لبنان: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع.
- البخاري محمد بن إسماعيل. (١٣١١هـ). صحيح البخاري. مصر: السلطانية.
- الترمذي محمد بن عيسى. (1996هـ). الجامع الكبير. بيروت لبنان: دار الغرب الإسلامي.
- التميمي محمد بن خليفة. (1440هـ 2019م). حث الأتباع على تجريد الاتباع. الرياض السعودية: دار الأمجد للطباعة والنشر.
- الحاكم أبو عبد الله محمد بن عبد الله النيسابوري. (بلا تاريخ). المستدرک على الصحيحين. بيروت لبنان: دار المعرفة.
- الخشت حنان حسن عبد الرحمن. (1442هـ، 2020م). الأحاديث المشككة في الطب النبوي من الصحيحين التداوي أنموذجا. مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بدمهور.
- الخطابي أبو سليمان حمد بن محمد. (1409هـ 1988م). أعلام الحديث (شرح صحيح البخاري). مكة المكرمة، السعودية: جامعة أم القرى (مركز البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي).
- الدارمي أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن. (بلا تاريخ). مسند الإمام الدارمي. بيروت لبنان: دار المعرفة.
- الزمخشري أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد الملقب: جار الله. (بلا تاريخ). الفائق في غريب الحديث والأثر. لبنان: دار المعرفة.
- السباعي مصطفى بن حسني. (1402هـ 1982م). السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي. دمشق سوريا: بيروت لبنان: المكتب الإسلامي.
- القاضي عياض أبو الفضل عياض بن موسى اليحصبي. (1409هـ 1988م). الشفا بتعريف حقوق المصطفى وحاشية الشمي. بيروت لبنان: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.

- القاضي عياض أبو الفضل عياض بن موسى اليحصبي. (1419هـ/1998م). إكمال المعلم بفوائد مسلم. مصر: دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع.
- القرطبي أبو العباس أحمد بن عمر بن إبراهيم. (1417هـ/1996م). المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم. دمشق سوريا بيروت لبنان: دار ابن كثير دار الكلم الطيب.
- المازري أبو عبد الله محمد بن علي التميمي المالكي. (1988م). المعلم بفوائد مسلم. الدار التونسية للنشر المؤسسة الوطنية للكتاب بالجزائر المؤسسة الوطنية للترجمة والتحقيق والدراسات بيت الحكمة.
- المصلح عبد الله بن عبد العزيز. (بلا تاريخ). قواعد تناول الإعجاز العلمي والطبي في السنة وضوابط.
- المعلمي عبد الرحمن بن يحيى اليماني. (1434هـ). رسالة في فرضية اتباع السنة، والكلام على تقسيم الأخبار وحجية أخبار الآحاد ضمن «آثار المعلمي». دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع.
- المناوي زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين الحدادي. (1408هـ/1988م). التيسير بشرح الجامع الصغير. الرياض السعودية: مكتبة الإمام الشافعي.
- النسائي أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب الخراساني. (1428هـ/2007م). سنن النسائي. بيروت لبنان: دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع.
- النسيمي محمود ناظم. (مارس، 2022م). المعالجة بالكي في عهد الرسول. تم الاسترداد من موقع إعجاز القرآن والسنة: الرابط: <https://quranm.com>
- بوظو عماد. (09 يوليو، 2019م). هل تتماشى أحاديث 'الطب النبوي' مع العصر. تم الاسترداد من الحرة: <https://www.alhurra.com/differentangle>
- د. باموسى د. عبد الله. (بلا تاريخ). الحبة السوداء في الحديث النبوي والطب الحديث.
- د. خورشيد فاتن. (19، 11، 2020). علاج الأورام وأمراض الكبد والجلد بأبوال الإبل. تم الاسترداد من https://www.youtube.com/watch?v=M_doUr2HVjI
- د. زريوح محمد بن فريد. (1441هـ/2020م). المعارضات الفكرية المعاصرة لأحاديث الصحيحين دراسة نقدية. تكوين للدراسات والأبحاث. تكوين للدراسات والأبحاث.
- د. نور الدين تومي. (10، 05، 2022). الإعجاز العلمي والغيبى في السنة النبوية، وأثرهما في إثبات وحية السنة النبوية. مجلة جامعة الأمير عبد القادر الإسلامية، الصفحات 8015.
- عبد الله الهاشمي. (06، 11، 2022م). قصة شفاء بلا أطباء | بودكاست. تم الاسترداد من قصة شفاء بلا أطباء | بودكاست: <https://youtu.be/LO2EQXNcMQ>

- عمار الحريري. (20 08، 2022). نقد الحديث من خلال متنه: أحاديث الطب النبوي نموذجاً. تم الاسترداد من الملتقى الفكري للإبداع:
[idSC=2&idC=1&https://almultaka.org/site.php?id=162](https://almultaka.org/site.php?id=162?idSC=2&idC=1)
- مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد الشيباني الجزري، ابن الأثير. (1399 هـ 1979 م). النهاية في غريب الحديث والأثر. بيروت: المكتبة العلمية.
- محمد أنس سرميني. (فبراير، 2023). اتجاهات الدرس الأكاديمي المعاصر في الإعجاز الطبي في السنة النبوية: دراسة نقدية. مجلة إعجاز الدولية للبحث والتأمل العلمي.
- مسلم أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري. (1334 هـ). صحيح مسلم. بيروت لبنان: دار الجيل (مصورة من الطبعة التركية المطبوعة في استانبول).

6 Bibliography List

- Ibn Battal Abu alHasan Ali ibn Khalaf. (1423 AH2003 AD). Commentary on Sahih alBukhari. Saudi Arabia Riyadh: AlRushd Library.
- Ibn Taymiyyah Ahmad ibn Abd alHalim. (1425 AH2004 AD). Majma'a alFawwa. Saudi Arabia Medina: King Fahd Complex for Printing the Holy Quran.
- Ibn Khaldun Abd alRahman ibn Khaldun. (1401 AH1981 AD). [Al'Ubar and] Diwan alMubtada' wa alKhabar in the History of the Arabs and Berbers and those who were contemporary with them. Beirut: Dar alFikr.
- Ibn Qayyim alJawziyya, Shams alDin Muhammad ibn Abi Bakr (no date). Prophetic medicine. Beirut: Dar alHilal.
- Ibn Qayyim alJawziyyah Shams alDin Muhammad ibn Abi Bakr (1440 AH, 2019 AD). Zad alMu'ad fi Hidhi Khidr alAbbad. Riyadh, Beirut: Dar Ataata alAlam Dar Ibn Hazm.
- Ibn Majah alQazwini, Abu Abdullah Muhammad Yazid alRuba'i Mulahim. (1430 AH 2009 AD). Sunnah. Dar AlRisala AlAlamah AlAlamiyya.
- Abu Dawud alSijistani, Sulayman ibn alAsh'ath alAzadi. (1418 AH1998 AD). AlMurasil. Beirut: AlRisala Foundation.
- Ahmad ibn Hanbal alShaibani. (1431 AH 2010 AD). Musnad Ahmad. Thesaurus Islamicus Foundation Dar AlManhaj.
- Ahmad ibn Ali ibn Hajar alAsqalani. (1380 AH1390 AH). Fath alBari with commentary on alBukhari. Egypt: Salafi Library.
- AlAshqar Muhammad Suleiman. (1424 AH2003 AD). The Actions of the Prophet (PBUH) and their Indication of Shari'ah Rulings. Beirut, Lebanon: AlRisala Foundation for Printing, Publishing and Distribution.
- AlBukhari, Muhammad ibn Ismail. (1311 AH). Sahih alBukhari. Egypt: alsultania.

- AtTirmidhi Muhammad bin Isa. (1996 AH). The Great Mosque. Beirut Lebanon: Dar alGharb alIslami.
- AlTamimi Muhammad bin Khalifa. (1440 AH2019 AD). Urging followers to abstract the Followup. Riyadh, Saudi Arabia: Dar AlAmajad for Printing and Publishing.
- AlHakim Abu Abdullah Muhammad ibn Abdullah alNisaburi. (no date). AlMustadrak on the Two Corrections. Beirut, Lebanon: Dar alMaarifa .
- AlKhasht Hanan Hassan Abdul Rahman. (1442 AH, 2020 AD). Problematic Hadiths in Prophetic Medicine from the Two Sahihs. Journal of the College of Islamic and Arabic Studies for Girls in Damanhur.
- AlKhattabi Abu Sulaiman Hamad bin Muhammad. (1409 AH1988 AD). Flags of Hadith (Commentary on Sahih alBukhari). Mecca, Saudi Arabia: Umm AlQura University (Center for Scientific Research and Revival of Islamic Heritage).
- AlDarmi, Abu Muhammad Abdullah ibn Abdulrahman. (no date). Musnad alImam alDarmi. Beirut, Lebanon: Dar alMaarifa.
- Zamakhshari Abu alQasim Mahmud ibn Amr ibn Ahmad alias: Jarallah. (No date). AlFa'iq in Gharib alHadith wa alAthar. Lebanon: Dar alMaarifa.
- AlSibai, Mustafa bin Hosni. (1402 AH1982 AD). The Sunnah and its Place in Islamic Legislation. Damascus, SyriaBeirut, Lebanon: The Islamic Bureau.
- AlQadi Ayyad Abu alFadl Ayyad ibn Musa alYahsabi. (1409 AH1988 AD). AlShafa with the definition of the rights of alMustafa with alShamni's footnote. Beirut, Lebanon: Dar alFikr for Printing, Publishing and Distribution.
- AlQadi Ayyad Abu alFadl Ayyad ibn Musa alYahsabi. (1419 AH1998 AD). Completing the Teacher with the Benefits of Muslim. Egypt: Dar AlWafaa for Printing, Publishing and Distribution.
- AlQurtubi Abu alAbbas Ahmad ibn Umar ibn Ibrahim. (1417 AH1996 AD). AlMufahim almashkal almashkal of the summarization of the Book of Muslim. Damascus, SyriaBeirut, Lebanon: Dar Ibn KathirDar alKalam alTayyib.
- AlMazri Abu Abdullah Muhammad bin Ali alTamimi alMaliki. (1988 AD). AlMu'allim with the benefits of Muslim. Tunisian Publishing House, National Book Foundation in Algeria, National Foundation for Translation, Realization and Studies, House of Wisdom.
- ALMouslih Abdullah bin Abdulaziz. (No date). Rules for dealing with scientific and medical miracles in the Sunnah and controls.
- AlMuallimi Abd alRahman bin Yahya alYamani. (1434 AH). A treatise on the obligation to follow the Sunnah, the division of the news and the authenticity of the Ahad news within "AlMuallimi's Relics". Dar Alam AlFadhida for Publishing and Distribution.

- AlManawi Zayn alDin Muhammad, also known as Abd alRauf ibn Taj alArifin alHaddadi. (1408 AH1988 AD). AlTayssir Sharh alJami' alSaghir. Riyadh, Saudi Arabia: Imam Shafi'i Library.
- AlNisa'i, Abu 'Abd alRahman Ahmad ibn Shu'ayb alKhurasani. (1428 AH 2007 AD). Sunan alNisa'i. Beirut Lebanon: Dar AlMaarifa for Printing, Publishing and Distribution.
- AlNasimi Mahmoud Nazim. (March, 2022). Moxibustion during the time of the Prophet. Retrieved from Ijaz alQuran wa alSunnah website: Link: <https://quranm.com/>
- Bouzou Emad. (July 09, 2019). Are the hadiths of 'prophetic medicine' in line with the times. Retrieved from Alhurra: <https://www.alhurra.com/differentangle>.
- Bamusi, Dr. Abdullah. (n.d.). Black Seed in Prophetic Hadith and Modern Medicine.
- Dr. Khorshid Faten. (19 11, 2020). Treatment of tumors, liver and skin diseases with camel urine. Retrieved from https://www.youtube.com/watch?v=M_doUr2HVjI
- Dr. Zariouh Muhammad bin Farid. (1441 AH2020 AD). Contemporary Intellectual Oppositions to the Hadiths of the Two Sahihs a critical study Takween for Studies and Research. Takween for Studies and Research.
- Dr. Nouredine Touni (10/05, 2022). Scientific and occult miracles in the Prophetic Sunnah, and its impact in proving that the Sunnah is a revelation. Journal of Amir Abdelkader Islamic University, pp. 8015.
- Abdullah Alhashimi. (06 11, 2022 AD). A story of healing without doctors | Podcast. . Retrieved from The Story of Healing Without Doctors | Podcast: youtube: <https://youtu.be/LO2EQXNcMQ>.
- Ammar Hariri. (20 08, 2022). Criticizing the Hadith through its corpus: The Hadiths of Prophetic Medicine as a model. Retrieved from the Intellectual Forum for Creativity: <https://almultaka.org/site.php?id=162&idC=1&idSC=2>
- Majd alDin Abu alSa'adat alMubarak ibn Muhammad alShaibani alJazari, Ibn alAthir. (1399 AH 1979 AD). The End in Gharib alHadith wa alAthar. Beirut: The Scientific Library.
- Muhammad Anas Sarmini. (Ferrier, 2023). Trends of Contemporary Academic Study in Medical Miracles in the Prophetic Sunnah: A critical study. Ijaz International Journal of Scientific Research and Reflection.
- Muslim Abu alHussein Muslim ibn alHajjaj alQushayri alNisaburi. (1334 AH). Sahih Muslim. Beirut, Lebanon: Dar AlGeel (photocopied from the Turkish edition printed in Istanbul).